حميد عقبي

دمي يسري في خد كل وردة

نصوص

ACNSTP

حميد عقبي
دمي يسري
ACNSTP

نصوص

دمي يسري في خدٍّ كلِّ وردة

حميد عقبي

شبكة أطياف الثقافية للدراسات والترجمة والنشر

المغرب

نصوص

الكتــاب: دمي يسري في خد كل وردة
المؤلف: حميد عقبي

الإيداع القانوني:2024MO6035

ردمك: **ISBN: 978-9920-8923-5-3**
الطبعة الأولى:2024

جميع الحقوق محفوظة

الرباط– المغرب

https://acnspt.com

info@acnstp.com

الإهداء

إلى كلِّ مدننا التي تحبُّ العشقَ والحياةَ وترفضُ غبارَ وحرائقَ الحروبِ، سنعودُ إليكِ مهما طالَ البعدُ، سيعودُ الصبحُ والمطرُ وأهازيجُ العشقِ والحصادِ.

تقديم

في نصوص حميد عقبي، يتداخل الواقع مع الخيال، وتنبض بالكثير من الرمزية والتصوير الفني العميق الذي يعكس رحلة داخل الذات والبحث عن المعاني الأعمق للحياة والموت والعشق. تتوزع هذه النصوص بين مشاهد سينمائية شديدة الخصوصية وحكايات مليئة بالتفاصيل اليمنية التي تحاكي الحياة اليومية، سواء في القرى الصغيرة أو المدن الكبرى. تتكرر الأمكنة مثل الحانة والغرفة، وهي أماكن تجسد لحظات العزلة والتأمل والوجد، كما تتقاطع مع رموز الأساطير الشرقية والغربية لتخلق عالمًا سحريًا يعكس الموروث الثقافي ويبحث عن معاني الحب والفقد والحرية.

ينبثق من هذه النصوص رفض قوي للحرب ودعوة للسلام، حيث يُمَجَّد العشق والحلم، ويُغَطَّى العالم بثوب من الحنين إلى الأوقات التي كانت فيها لذة الحب والطفولة، وتُفتح النوافذ على الأمل. من خلال لغة شعرية وأسلوب سينمائي تشكيلي، يعبر الكاتب عن أسئلة وجودية كبرى حول الإنسان وعلاقته بالعالم، كما تتشابك فيها التراكيب الثقافية والفكرية المختلفة لتسبر أغوار أعماق الروح.

يجسد عقبي في هذه النصوص الصراع الإنساني في ظل الحروب والتدمير ونزعات العنف واللاعدالة في هذا العالم، ويعرض جماليات الحياة رغم الألم، داعيا إلى التحرر من القيود والمظاهر الاجتماعية والسياسية المجحفة والقاسية، والوصول إلى السلام الداخلي والإنساني.

نهار

كأسٌ وقضمةٌ من رأسِ أفيونٍ

شوق

يكفيك شعراً يا سعدي يوسف

على الطَّاولة

ماذا سيحدث أكثر من ذلك؟

أريد أن أفقد ذاكرتي

بقايا الليل

تفاصيل

في انتظار الشتاء

هذيان

ليلة باردة

يا الله، نشتاقُ لضحكاتِكَ

أعشقُها

لا أستطيع

عباءة الليل

دمي يسري في خدِّ كلِّ وردة.

ليلى وقيس

ملح وحجر

أن أكون مطرًا

يُوحَى إليّ

أحِسُّها تُوشوشُ من بعيد

المصير

هذا المساء

لحظة

جرس.. جرس

خربشات

وجع

الكلب أيبو

مو اقيدُ المطرِ

شجرة

يدي مُضَرَّجةٌ بالقصيدة

صورة

أنتعل رأسي وأركض

أعترف الآن

مطرٌوأشياءُ أخرى

خارطةُ طريقٍ ورسالةٌ إلى الله

تلتحفني

فوضى

حدائق الحرب

قبل صرخةِ يوم القيامة

يتحدثُ اللهُ معي كأيامِ الطفولةِ

البحرُ حفنةُ الملحِ في كفِّ أمي

رأسي لا تسكره هذه الكأس

يضحكُ اللهُ

العشق أم الموت؟

تانكا من النبيذ

يبدو أني ثملاً

نهار أخر

يقتطفُ اللَّيلُ سنابلَنا، يضعُها في شكلِ حزمةٍ، يحملُها، ليوقدَ بعضها في الضّفّةِ الأخرى، يمضغُ بقايا آهاتِ شوقٍ عاشقٍ؛ مداعبةُ قنفذٍ لصديقاتِهِ، موجةٌ تاهت طريقَها، أقدامُكِ مبلَّلَةٌ بالرَّغبةِ؛ حنَّاءُ كفَّيكِ يميلُ إلى البرتقاليّ، و أنتِ تنفرينَ من هذا، تريدينَ بقعةَ خضابٍ أسودَ؛ تكسرينَ قنينةَ النبيذِ الأحمرِ، تقولين: لا يحتاجُها هذا اللّيلُ. تلتحفينَ بي للحظاتٍ؛ يغسلُ الصّبحُ وجهَهُ في مرايا النَّدى، لا يجدُ كلمتَهُ الأولى، يتلعثمُ... الشَّمسُ حافيةٌ، حاسرةُ الرأسِ. تعرجُ النخلةُ، لم تحبلْ منذُ سنواتٍ، تلعنُ الحربَ؛ عندما ينتصبُ الظلُّ بعدَ ترددٍ، يصابُ بدوارٍ، لا جدارَ هنا؛ أينَ الرجلُ الصالحُ ليقيمَ جدرانَ هذهِ المدنِ؟ نحنُ يتامى أيضاً؛ أين الحمامُ والعنكبوتُ؟ هذهِ أحذيةُ الخرابِ تركلُ أحلامَنا؛

وأمنياتُ العشقِ، لهيبٌ في البحرِ؛ كلُّ الغاباتِ تسعلُ؛ أنا أرتعدُ من الحمى، لا من أشياءٍ أخرى؛ ربما أسرفتُ في الشرابِ قليلاً. عندَ الظهيرةِ، أرى سرابًا مثلجًا؛ نهايةٌ متأزمةٌ. تترنحُ الخيالاتُ المجنونةُ في طرقاتٍ مرصوفةٍ بالضياعِ؛ غروبٌ لا يحملُ الشفقَ، كأنَّهُ برتقالةٌ متعفنةٌ.

لا تعكسُ المرآةُ وجهي، كأنّي المنسيُّ هنا، رجلٌ فقدَ ظلَّهُ. لا تعكسُ المرآةُ وجهي، أحاولُ أن أكونَ إنسانًا عاديًّا، أتحاشى أعمدةَ الإنارةِ، مرايا وواجهاتِ المحلّاتِ الفخمةِ وكاميراتِ المراقبةِ، أخطّطُ قبلَ صعودِ الحافلاتِ المتأخّرةِ. تمنَّيتُ أن يكونَ لي ظلٌّ حافٍ، أشعثٌ أو حتَّى عاريٌ. لا تهمُّني كلُّ هذه المواصفات.

ذاتَ مرَّةٍ، قذفتُ وجهَ الشَّمسِ، وكان كلسوني الدَّاخليُّ ملطَّخًا بسائلٍ لزجٍ. كان احتلامًا طبيعيًّا دونَ تدخُّلات. كأنّي في فيلمٍ فيه مشاهدُ جريئةٌ وأخرى بمونتاجٍ غريبٍ. كلُّ ذلكَ حدثَ في المنامِ.
وحدي أتجولُ عاريًا في مكانٍ غريبٍ لا أعرفُ تفاصيلَه، أبحثُ عن ماءٍ لغسلِ هذهِ اللَّزوجة. تنظرين لأشيائي وأنتِ مبتسمةٌ، وتلفين حولَ خصرِكِ منشفةً قصيرةً.

تتضخَّمُ المشكلةُ في الحانةِ، في المسبحِ. الكلُّ يلهو ويأخذُ سيلفي وصورًا تذكاريّةً. ظننتُ أنَّني سأنجو من العشقِ. تلكَ النَّادلةُ أغرتني. سقطتْ حساباتي. أعودُ إلى الحانةِ. يوحى إليَّ بقصيدةٍ. يوحى إليَّ الآنَ.
أتهجَّى اسمَها وأنسى اسمَكِ.

إنَّه حزيران. الشَّمسُ في ريعانِ شبابِها. يكبرُ صدرُها كنجمةِ فيلمٍ بورنو. أطردُ هذهِ الوساوسَ. تأتي نادلتي بفاتورةِ الحسابِ. أحاولُ أن أكونَ مهذَّبًا وكريمًا. مبتسمةً، تتعثَّرُ في مشيتِها. ترتَّمي على صدري، مبتهجةً.
قالت: ألم تلاحظْ وجهَ الشَّبهِ بين رغباتنا؟

كأسٌ وقضمةٌ من رأسِ أفيونٍ

تتدافعُ أرديةُ الظُّلمةِ، تتأهَّبُ لحفلةٍ تنكُّريةٍ، اللَّيلُ بساقٍ واحدةٍ، يدٌ مبتورةٌ، لقطةٌ من فيلمِ "كلبٍ أندلسيّ"، نملٌ يبحثُ عن غنيمةٍ، يلتهِمُ ثديَ فتاةٍ بكرٍ. تلبسُ الشَّمسُ طاقيَّتها، تمازحُني الرِّيحُ، حاملةً طستًا من الذّكرياتِ، دلواً من الرَّغبةِ.

أنادي النَّادلةَ، تعتذرُوتطلبُ منّي مغادرةَ الحانةَ، ليسَ من حقّي أن أطلبَ كأسًا آخر، و أنا في هذهِ الحالةِ.
ثملتُ ذاتَ مرَّةٍ ونسيتُ رقمَ غرفتي، نسيتُ الواجهاتِ المضيئةِ في شارعِ بيجال، أشعلتُ سيجارةً، كي أشعرَ أنّي قادرٌعلى فعلِ شيءٍ.
قدماي ترقصُ وهي جامدةٌ، استمعُ لتنهيداتِ فتاةٍ حزينةٍ. كأسٌ وقضمةٌ من رأسِ أفيونٍ، جعلتُها ترسمُ فراشةً في صندوقٍ زجاجيّ. أريدُ أن أقتربَ أكثرَ لرؤيةِ المشهدِ بتفاصيلِهِ الدراميةِ، لكنَّ الشَّرطيَّ السَّمين جرّها إلى فراشِهِ، داسَ الفراشةَ، ركلَ الصّندوقَ.
هذهِ شظاياهُ تملأُ الرَّصيفَ. و أنتِ!

تركلينَ تفّاحتنا في موسمِ النضوج، تمزّقينَ بدايةَ قصيدتي الجديدة، تُسقطينَ عن قصدٍ أو غيرِقَصْدٍ محبرَتي، تخفينَ قنينةَ النبيذِ وسجائري، لا تريدينَ أن يصبحَ لي خيالُ شاعرٍ مجنون.

سأركضُ، نعم قرَّرتُ أن أفعلَ ما تريدينَهُ. السَّاعة السَّابعةُ الآنَ، الشَّمسُ ستذهبُ لمعانقةِ رفيقها، و أنتِ؟

ألَا تشتهينَ بعضَ اللَّذَّةِ؟

القليلُ من الأحلامِ تبعثُ في الرَّأسِ المسرَّاتِ. قهقهاتُ متسوّلٍ، هذيانُ مخمورٍ، صراخاتُ المطرِ، يهطلّ فجأةً شيئًا ما أقوى من المطر، يُغرِقُ الدَّفاترَ، مسودَّاتي، هذياني. أريدُ كأسًا وقضمةً من رأسِ أفيونٍ، كي أعيدَ ترتيبَ المشهدِ!

شوق

يلتزمُ البحرُ الصَّمتَ، أقدامُهُ مكبّلةٌ، لا يقبضُ أذرعَهُ المبتورةَ، حالةٌ من الشَّوقِ، انتظارٌ، لنشرةِ أحوالِ الطّقسِ، أغترفُ من ينابيعِ السَّرابِ، تلقيها الصّباحاتُ ثمَّ تنصرفُ، أحلمُ أن ينثرَ الثلجُ بعضَ بهجتهِ، تكنسُ الرّيحُ بعضَ أحلامي الصَّغيرةِ، تلهو بي أدخنةُ البخورِ اليمانيّ، رقصتِ في اللَّيلةِ الأولى من العناقاتِ، كنتِ أشجعَ منّي، التهمني حريقُكَ.

ضجيجٌ في السَّماءِ، أسمعُ تنهيدةَ ملاكٍ نام ونسي مواعدة رفيقته، ما أصعبَ أن تهجُرَكَ عشيقةٌ أدمنتَ عناقَها، أدمنتَ الهذيانَ والمداعباتِ لتُضحكها، تنمحي الجغرافيا، فاللّيالي القمرية يُباحُ فيها الكلامُ والأفعالُ الجريئةُ، مباحةٌ القبلاتُ، قنينةٌ من نبيذٍ أحمر، قناني الجعةِ، يغمرُنا غيمُ الأمنياتِ.

يا صديقي، أيقظني، لو تركتِ الخمرةَ تلعبُ برأسي، فالقصيدةُ لا تريدُ البكاءَ، تريدُ الفرحَ، تريدُ أن تلبسَ فستانًا قصيرًا مغريًا، أنا لم أبكِ موتَك يا أبي، ولا موتَ الأصدقاءِ الذين حُشروا في قطارِ الموت.

سألتُهم: هل عرضَ عليكم هذه الرّحلةَ؟ هل تقمَّصَ دورَ الملاكِ أم الصَّديقِ؟

هل الموتُ فعلاً امرأةٌ جميلةٌ؟

و أنتِ أيَّتها العشيقةُ البعيدة، ألا تشتاقينَ إلى اللَّيالي العاصفةِ بي وبك، ألَا تشتاقينَ لفعلٍ؟

يكفيك شعراً يا سعدي يوسف

بعضُ الخيالاتِ هنا،
وبعضُ الأحلامِ هناكَ،
بعضُها استعارَ أجنحةَ فراشاتٍ،
منها من يفضِّلُ سيقانَ نعاماتٍ،
أحاولُ أن أحميها من صقيعِ صيفٍ ملتهبٍ،
ورياحٍ قادمةٍ معَ موجِ الأطلسي،
بيني وبينَ رملِ الشَّاطئِ خطواتٌ،
لكنَّ الأشرعةَ بعيدةٌ جدًّا،
السَّمواتُ لها نو افذُ مثقوبةٌ،
وللجبالِ أبوابٌ وهميّةٌ تحتاجُ إلى دليلٍ ماهرٍ،
الصَّحراءُ وحدَها بلا جغر افيا،
تكبرُوتصغرُ،
الشُّعراءُ يرونُها قلبًا نابضًا،
يتيهُ فيها هواةُ الصَّيدِ،
و أنا لستُ منهم.
أزرعُ نخيلاً،
فربَّما يأتي المخاضُ أمّنا مريم،
في انتظارِك يسوع،

في انتظارِك يا يحيى بن زكريا،
في انتظارِ أبو ذر الغفاري،
أغنيةُ سجاح،
راياتُ كاهينة ملكةِ الأمازيغ،
تسابيحُ عاشقٍ،
شهقةُ الرُغبةِ،
كأسٌ باردٌ من الجعةِ،
حبّاتُ الزيتونِ،
غصنٌ وحمامةٌ حبلى،
رقصةُ الحلَّاجِ،
وضحكةُ البردوني السَّاخرةِ،
قبرٌ هنا وحفرةٌ هناكَ،
يعزفُ الموتُ: تعالَ يا سعدي يوسف،
يكفيكَ شعرًا،
قلتَ في الحياةِ والحبِّ والأرضِ،
قلتَ أكثرَ ممَّا ينبغي قوله،
تعالَ لتزرعَ زنبقةً في فخذِ السَّماءِ،
لننزعَ أنيابَ السُّحبِ العاقراتِ،
ومخالبَ العواصفِ المجنونةِ،
نقتطفُ بعضَ النُّسيانِ،

دعْ قاموسَ تلكَ الحياةِ الجامدةِ،

لا تحتاجُ الآن إلى فو اتيرِ الكهرباءِ والغازِ،

رأسُ المغنّي،

ينقرُ الطَّيرُ رؤوسَ الأفاعي،

و أنتَ تحاولُ إقناعَ الموتِ

أن يكفَّ،

أن يتركَ دفاترَهُ أو يحرقَها،

ينسى مهنتَهُ

بخطٍّ عريضٍ

على بطاقتهِ، المهنة : ملاك.

على الطَّاولة

ليست لي أمنياتٌ كثيرةٌ، لديّ ما يكفي من تبغٍ وخمرٍ، وقليلٍ من الخبزِ الأسمرِ، قطعةٌ من جبنةٍ غيرمالحةٍ، ملعقةٌ، كأسٌ، منفضةٌ سجائرِ، على الطَّاولة، سأضعُ كلَّ هذه الأشياءِ.

لن أنتظرَكِ، هاتفي المعاقُ لن يتحرّكَ من مكانِهِ، ككلِّ ليلةٍ، تشتعلُ الأمكنةُ البعيدةُ في ذاكرتي. لم نوثّقْ كلَّ ما حدثَ في صورٍ، لا أملكُ صورةً واحدةً لكِ، لم أكُنْ رسّامًا، لم نكُنْ نتراسلُ ونشتري طوابعَ البريدِ، لم تكُنْ عاداتُنا كعاداتِ عشَّاقِ الرّوايات.

ثمَّ جاءَتِ الحربُ، البحرُ أصيبَ بصداعِ الشَّقيقةِ، موجٌ بلا أرجلٍ، شواطئُ لا تشيرُ بأذرعها، النّخيلُ لم يتزاوجْ منذُ سنواتٍ، تكبرُ شجرةُ اليقطينِ بغصونٍ مبتورةٍ عرجاءَ وأوراقٍ لا تكبرُ، تتَّجهُ إلى الجبلِ غيرَ آبهةٍ بالاستغاثاتِ والتحذيراتِ، و أنا أنظرُإلى قنينةِ النَّبيذِ، بعضُ قطراتها تقعُ على ورقةٍ بيضاء، لم أكتبْ شيئًا مهمًّا يستحقُّ القراءةَ، فقط بعضُ الهذيانِ.

تزدحمُ أحلامي عندَ مدخلِ قطارٍ مغادرٍ، سيأخذُ كلَّ الأحلامِ المكتئبةِ، لنزهةٍ إلى بلادِ الأقزامِ السَّبعةِ، في الممرّاتِ الضيّقةِ، الضفّةُ الثانيةُ، مرايا هرمةٌ، لونُها لا يُشبهُ الماءَ، تلتهمُ كلَّ شيءٍ.

أتأمَّلُ النَّدى المذعورَ، يحاولُ القفزَ من الأسطحِ الزجاجيةِ إلى ما بينَ الشّقوقِ.

أريدُ تدوينَ المشهدِ.

قصيدةٌ في رأسي، على الطَّاولة، فنجانٌ من وهمٍ، وجهي مرسومٌ في دفترٍ من رملٍ ممزَّقٍ.

ماذا سيحدث أكثر من ذلك؟

يدي المبلَّلةُ بالأزرقِ الغامقِ،
الهاتفُ يرنُّ،
تأتي همساتُها الخجولةُ،
قالت: لنتحدَّث في شيءٍ آخر غيرَ العشقِ.
أتعنينَ الحرب؟
أصبحَ وجهُ أرضي مصفرًّا بالفاقةِ والضياعِ،
الحقولُ الرماديةُ تفزعُ السحبَ،
السماءُ تديرُ وجهَها أيضًا وتضعُ نظراتٍ افتراضيةٍ.
ماذا سيحدثُ أكثرُ من ذلك؟
يشفقُ الفأسُ بيدِ الحطابِ،
يعلمُ أن لا عشَّاقَ سيبكونَ الجذوعَ النحيفةَ،
لن يأتي رسامٌ ليخطَّ بعضَ الأخضرِ،
حتى الشموعُ تذوبُ قبلَ أن يشتعلَ الفتيلُ،
عودُ الثقابِ أصابه الصدأُ.
لنتحدَّث في حكاياتٍ لا ترسمُ وجهَ القهرِ،
لنتذكرْ حكايةَ جميلٍ وبثينة،
لنرويَ ما قاله قيسُ بنُ الملوحِ،
هاتِها يا ساقي،

شفتاكِ ستتذوقينَ خمرًا ومداعباتٍ.
يدي مبلَّلةٌ بالأزرقِ الفاتحِ،
أنسجُ لوحةً كأنها صورةٌ مهزوزةٌ لوحشٍ بحيرةِ «لوخ نيس» في اسكتلندا،
قيل لي: إنه ذو عنقٍ مموجِ الشكلِ وجلده أقوى من جلدِ الفيلِ.
لنغتسل في البحيرة، ثم ننتظرُ ذلك المخلوقَ لنسأله عن قصصِ عشاقِ لوخ نيس،
ولا يهم ما سيكتبه رقيبٌ وعتيدٌ عن رحلتنا.
لنمارس الحبَّ،
لنسدَّ ثغرًا سماويًا يجبُ ألا يكبرَ.

أريد أن أفقد ذاكرتي

أريد أن أفقد ذاكرتي
لساعةٍ، أو لسنةٍ كاملةٍ، أو لألفِ ليلةٍ وليلةٍ.
لديَّ ذكرياتٌ انتكاساتٌ عاطفيةٌ حزينةً متعدِّدةٌ،
أرضٌ ووطنٌ بعيدٌ،
ظلالُ أشجارِ الطفولةِ لا تزال تُحرقها الحروب،
مرج البحر يبحث عن المرج الآخر ليلتقيان
نرى الصمت على البحر يفرش أجنحته التي تشبه أجنحة بيلاغورنيس ساندرسي
لكنها ترعبُ النوارس، تصيبها بالنقرس وبكتيريا "إي كولاي"،
والنخلةُ التي كنا نتسلقها لم تعدْ تحبَلُ أو تلِدُ.
حتى تلك الطيورُ السُّمانُ التي كنا نمازحها، نقلد صوتها ونضع لها فتات الخبز،
لم تعد تمارس الحبَّ منذ أشهرٍ وربما أكثر.

أشياءُ تبدَّلت هنا وهناك،
تمنيتُ أن أفقدَ الوعيَ لسبعِ ليالٍ،
أدخلُ إلى مملكةِ الموتِ وأستكشفُ دهاليزَها،
أُسلِّمُ على أبي و أُقبِّلُ يديه،
أتسامرُ معه،
وأغني مع أصدقاءٍ لم أودِّعهم...

سأظلُّ خلفَ بابِ الجنةِ،
من ثقبِ البابِ أتلصَّصُ، يُخيل لي أو أرى
حورياتٍ عارياتٍ،
يرقصنَ،
وأُخرياتٍ يجدنَ الغناءَ.
وفي الجحيمِ،
لديَّ أيضًا هنالك أصدقاءُ،
لا تسرُّني أن أرى عذاباتهم ولا الألم،
ضجيجٌ في الجنةِ والنارِ،
وفي القبرِ أيضًا...

أفيقُ من سكرتي،
أجدني جسدًا متهالكًا
ترتعشُ يدايَ،
أرتجفُ من البردِ،
أرتجفُ من الخوفِ،
تشيبُ الأحلامُ،
أفكِّرُ في رحلةٍ للبحثِ عن عُشبةٍ تُعيدُ أحلامي شابةً وفرِحةً.

بقايا الليل

لو أنَّ البحرَ مِدادٌ لكلماتِ عشقي
لنفدتِ الكلماتُ والبحرُ معًا.
أقتاتُ من بقايا الليل،
أضغاثَ أحلامٍ.
ينهزمُ الخريفُ مُخلِّفًا كلَّ هذه المجازرِ،
أجسادُ الورقِ تعبثُ بها الريح،
يركضُ الشجرُ حافيًا.
ترقصُ السُّحبُ السَّمينةُ ولا تتبول،
الجبلُ العاري يرتعدُ من صقيعِ الصبحِ،
النهرُ المتجمِّد يحبو ليعانقَ موجةَ المحيطِ.
تحلِّقُ الطيورُ المهاجرةُ تائهةً تبحثُ عن وطنٍ،
أريدكِ فعلًا حاضرًا
أو فعلًا لمستقبلٍ قريبٍ،
أحضر دروس الملك سليمان لتعليمِ لغةِ النملِ،
قبلَ أن يأتي الشتاءُ مُمتطيًا فيلَ أبرهةَ،
بنيتُ لكِ في ذاكرتي قُليصًا،
أخافُ أبابيلَ الثلجِ تقصفُ عشَّا
ذاكَ العصفورَ
يرتعشُ على نافذتي.

تفاصيل

رأيتُ المسيحَ يحملُ صليبَه،
بيدهِ خارطةٌ مكتوبةٌ بلغةٍ سبئيةٍ قديمة،
يتمتمُ بكلماتٍ لا يفهمها أحد،
على صدرهِ وشمٌ
وجهُ أمّه القدّيسةِ،
وفي ظهرهِ جرحٌ متعفّنٌ.

كان يسيرُ على جسرِ سان ميشيل متجهًا إلى محطةِ المترو،
كنتُ أركضُ باتجاهِ كنيسةِ نوتردام،
هناك قدّاسٌ سترقصُ فيهِ الملائكةُ،
هناك الشموعُ والبخورُ،
وحمارُ عزيرٍ السمينِ قُربانًا.
تركضُ ناقةُ صالحٍ في جبالِ صنعاءَ الوعرةِ،
تأخَّرَ القطارُ وغادرت كلُّ السفن،
يقالُ أنَّ الله يخلِّقُ كلَّ يومٍ عشرةَ غربانٍ في بئرٍ برهوتٍ ويلبسهم وجوهَ الساحرةِ ملكةِ الثلج،
الأطفالُ خائفون.

ألفُ وألفُ ألفِ طفلةٍ وطفلٍ يخبرون الملائكة
حلمهم برؤيةِ ابتسامةِ الله وأن يمسكوا يده، لكن الملائكة لا تزال تخافُ نقلَ هذه الأمنية.

الناقةُ مهددةٌ بالقتل،
أمراءُ الصحراءِ يريدون لحمَها،
قيل لهم إنه يزيدُ في قوةِ الباءةِ،
ومن دمِها مرطباتٌ لأعضائِهم الذكوريةِ،

ترفضُ جمعياتُ الرفقِ بالحيوان ذبحَ حمارِ عزيرٍ الذي تمَّ استنساخه وزُفَّ إلى الكنيسةِ لنيلِ بركاتِ الربِّ.

اشترى القِسّ قنينةَ دمٍ صناعيٍّ،
خَضّبُ بابَ الكاتدرائيةِ بلونٍ أبيضَ،
يتلقى الحمارُ باقاتِ البرسيمِ من معجباته على الانستجرام،
يبدو وسيماً في تلك الصورِ المنشورةِ في صحفِ العالمِ،
تبحث السماءُ عن نبيٍّ جديدٍ ترسلهُ إلى الشرقِ الملتهبِ بعواصفِ الرعبِ.
أنا حالياً على خطِّ الاستواءِ.
أنتظرُ الليلَ لعله يغسلني بظفائرهِ المُزَخرفةِ بالظلمةِ،
أعلمُ أنكِ كنتِ تَدهَنينَ هذه الظفائرَ بدموعكِ.
تنهضُ اللذةُ،
تستعيرُ الرغبةُ جناحَ البراقِ،
أنصِبُ خيمتَنا من البخورِ التهامي المعتَّقِ،
نستجيبُ للشهوةِ،
تتخلَّى عقاربُ الساعةِ عن عكازها،
لعلها تُعطِّلُ رحيلَ الليلِ وتَمدُّ في عمرِه،
حتى إذا طلعَ الصبحُ علينا من ثنيّاتٍ بعيدةٍ، نراوغهُ،

في انتظارِ أنكيدو يحملُ لنا فاكهةً سومريةً مجفَّفةً،
أو ليلًا جديدًا.
لا أفهمُ لماذا تداخلت وخلطتُ كلَّ هذه الأحداث؟
في هذه اللحظاتِ الحرجةِ،
الخريفُ، أثقلُ في الشربِ،
الخريفُ، مَزَّقَ أثوابَ الغابةِ.

الغابةُ تظلُّ عاريةً ولم تركضْ إلى شجرةِ ثيماما ماريمانو،
أبحثُ عنكِ يا وردتي،
أحضرتُ شجرةَ السنوبرِ،
أهداني الحلاجُ جُبّتَهُ ومعطفَ الحسينِ عليه عطره،
بدراهمِ أهلِ الكهفِ اشتريتُ بعضَ التبغِ والنبيذِ،
يجب أن أستعيدَ توازني
وأعيدَ ترتيبَ الأحداثِ وحظوظَ الشخصياتِ،
أخطائي كثيرةٌ،
نسيتُ شراءَ حقيبةِ النسيانِ
كي أودعَ فيها اسمَكِ وملامحَ وجهكِ
وتفاصيلَ دقيقةً لجسدكِ الأنثوي
وتلك الحكايات.

في انتظار الشتاء

هل يجب أن أكتبها في الأرضِ
بالماءِ والطينِ
على جدرانِ القرى الريفية؟
أم أقولها للسماءِ
أعيدُ تلاوتَها للسحابِ؟

أنقشُ بها ريشَ أجنحةِ طيور الكركي العائدة إلى وطنها؟
قلبي فراشةٌ تحومُ حولَ نارِ فانوسِ صيادٍ في جزيرة سوقطرة،
الصيادُ في قاربٍ فقدَ طريقهُ واستسلمَ لقدرهِ.
و أنا روحي تهيمُ بكِ لا تأبهُ بالريحِ المرتجفةِ.

أنا لستُ راهبًا
البحرُ العاصفُ أمامي
والشيطانُ خلفي.
أنا من تهامة اليمن نشأتُ مع العشبِ وأعوادِ الدخنِ والذرةِ.
كانت الشمسُ تلقمني من صدرها شطائرَ الحنانِ.

و أنتِ ترعرتِ في النورماندي الهائج بالمناخ المتقلب.
كان الضبابُ يرضعُكِ الغموض.

منذُ مشيتُ إلى الطريقِ المؤدي إليكِ
عرفتُ أن الغابةَ ستصفقُ لنا.
لا يجبُ مواصلةُ الهروبِ.
لم أكن العاشقَ المثاليّ.
أعترفُ بأخطائي.

لستُ ذا قلبٍ صغيرٍ،
سأدفنُ قواميسِ اللغاتِ الغريبة التي لا تثيركِ في النهرِ.
وأعيدُ سقيَ أقلامي الجافةِ من المدادِ
أزرعُها على قممِ الجبالِ والهضابِ، أرسمُ وأكتبُ كل ليلةٍ
أنتظرُ الشتاءَ كي يثمرُ قلبه
حُبًا.

هذيان

الصفاتُ صفًّا، تهشُّ بحرابِها خيوطَ ضوءِ الصباحِ، تسحبُ مؤخرةَ الليلِ لتغطّي نافذتنا. أنا وهي نتجرّعُ اللذّةَ من أوّلِ الليل ووسطِهِ إلى الرمقِ الأخيرِ منه. ليس بعيدًا عن نافذتنا، يتدثّرُ النهرُ ساكنًا، وعلى ضفتهِ ورقةٌ يابسةٌ من إرثِ الخريفِ المنصرمِ، على متنِها المسبّحاتُ ينشدنَ تراتيلَ القيامةِ ومقاطعَ من قصائدِ العاشقِ كثيرِ عَزّة.

تتلصّصُ نجمةُ الصبحِ على غرفتي، المشهدُ غيرُ واضحٍ؛ تتكوّمُ بعضُ الأوراقِ هامدةً، بلا حركةٍ في تلك الزاويةِ الباردةِ قربَ تمثالِ جان دارك. وجوهُ الأوراقِ عليها شخبطاتٌ لقصائدَ لا تصلحُ للنشرِ.

كأسُ النبيذِ الفارغِ لا يزالُ متشحًا ببعضِ الحمرةِ، ويبحلقُ الصبحُ في وجهي الشاحبِ من كثرةِ التدخينِ؛ يقطرُ الصبحُ شعاعًا خافتًا، والقطراتُ الضعيفةُ لا تنجحُ في كشفِ التفاصيلِ. يظلُّ المشهدُ قاتمًا؛ لا صورةَ لها على الحائطِ، ولا يوجدُ دليلٌ ماديٌّ ملموسٌ على وجودِها.

تتقافزُ صورُها في رأسي؛ البحيرةُ الصغيرةُ التي صنعها النهرُ عندما تقيّأَ، تهرعُ إليها الضفادعُ للتنزّهِ في جوٍّ عائليٍّ مرحٍ. فجأةً يحدثُ ضجيجٌ لا أحتمله؛ ربما تحسُّ بالجوعِ، وربما هي بدايةُ موسمِ التزاوجِ والتكاثرِ، لا أعرفُ بالضبطِ سببَ غضبِها.

في المساءِ أتّجهُ إلى الحانة، أشعرُ أني بحاجةٍ إلى جرعةٍ من الكحول، أنزوي مع قنينةِ جعةٍ في الركن، وليس لديّ خطةٌ معيّنةٌ. رأيتُ فتياتٍ يحاولنَ قراءةَ وجهي.
ذاتَ مرّةٍ قالت واحدةٌ إنّها وجدت بعضَ ملامحي في لوحةٍ غير مشهورةٍ لبيكاسو.
هنا، لا أحد يسألك عن تفاصيلِ سجلكَ المدنيّ.

العشيقةُ في خيالي، لكنّي أخفيها في أجفاني، تحاولُ كسرَ قضبانِ رموشي.
يتسرّبُ الصدأُ إليها بسببِ عواملِ الزمن.
ماذا أفعلُ لتجديدِ قبضتي على حفنةٍ من الذكريات؟

أحصنةُ الليلِ لم تعد مباركةً، ليست كعهدِها السابقِ؛ جيدُها فارغٌ وخالٍ من نجومِ الإغراء، ولا تُعرّي صدرَ الرغبةِ.
أُحسُّ بظلِّ العشيقةِ يقتربُ، هناكَ من يحاولُ الضغطَ على جرسِ البابِ، هناكَ من يحاولُ مناداتي. حبالُها الصوتيةُ مرتبكةٌ.

يا بائعَ الوردِ في الحانة، أتملكُ وردةً ناطقةً؟ أينَ الحبيبة؟ أينَ منزلُها؟
بائعُ الوردِ الهنديُّ لم يفهم كلامي؛ يريدُ المالَ مقابلَ وردٍ أخرس. لا يفقهُ، لا يسمعُ، لا يفهمُ.
أمضي الليلَ كلَّهُ في محاولاتٍ فاشلةٍ.

تشرقُ الشمسُ. هذهِ اللحظاتُ. المشهدُ يتّضحُ أكثرَ.
أنا وحدي. أنا أ هـ ذ ي.

ليلة باردة

تسكنني الأرصفة الباردة،
تحاصرني،
ترفض الرحيل.
من قلب المدينة القديمة،
تنام الأزقة المرصوفة وتحلمُ بالجبل البعيد.
هذا المنظر صورة فوتوغرافية بالأبيض والأسود،
معلقة على جدار الحانة.

أنا هنا أجلس مع كأسي
نافذة ذاكرتي تطل على روائح بخور الليالي ماجنة.
أحاول إغلاقها،
تفشل محاولاتي.
هذا الكأس أحيانًا أحسّه خفيفاً وفارغاً،
وأحيانًا أحسّه ثقيلاً أعجز عن رفعهِ.

كثيرة هي الحكايات التي يمكن سماعها مع بداية فصل الشتاء
فتيات يتحدثن بوقاحة عن متع جنسية.
فتيات لا يتذكرن ليلة فقدانهن لغشاء البكارة.
قالت وحدة منهن (بصوت عالي):
"احتفظ ببعض الشعر على فرجي حتى أشعر بتحرري من رِق الطفولة".
وقالت أخرى (مبتهجة):

"أصبحت سحاقية بعد سنوات من الهزائم العاطفية مع رجال".
صرخن،
صفقن،
النصر للذة.
الخمر يعجزُ عن منحي بعض الأجنحة
لا أريد الوصول لبعض أسبابِ السماء.
أود فقط تنشيط خيالي لرؤية جماليات الشتاء.

أبحث عن بعض الهواء الخالي من وسوسة الشِعر
ترقص الأشجار التي احتفظت ببعض أغصانها.
تتسمر الأشجار المحيطة ببرج إيفل مقيدة بزينة ليالي الكريسمس.
رجال الشرطة يطلبون منها كل ليلة إبراز بطاقتها الوطنية.
كاميرات المراقبة ترصد أبسط حركة.

بعض الطيور المهاجرة غرقت في المحيط
ليس بوسعي إنقاذها.
ليس لي لسان هدهد لبث رسائل تحذيرية.
أكتفي برسم قوارب شراعية متينة،
ثم ألقيها في المحيط لعلها تنقذ غريقاً.
ا يوجد قانون للعشق
ليس له جغرافيا وخرائط مفهومة.
من الصعب التكهن بحالة مناخه الشتوي أو الصيفي.
المنجمون هذا العام يتخبطون بسبب الانقلابات العاطفية.

عشيقتي كانت تعتقد أن الكتب المقدسة مشوهة بشبق ذكوري
كانت تتلو آيات ثرية منصور،
تشعر بالإنشراح،
ثم تدعوني لمضاجعتها وشهادة أن ثرية منصور نبية الله.
أنا مقتنع بقناعتي الدينية.
أعشق الكثير من القصص المليئة بالخيال الطفولي.
عندما كنتُ طفلاً تخيلت حورية عارية.
نفني مدرس التربية الدينية وصادر مني الصورة
سمعت أنه وزملائه يتبادلونها لغرض ممارسة العادة السرية.
في الجامعة كان يحلو لي تأمل سيقان زميلاتي.
كنتُ خجولاً.
استجبت عدة مرات قليلة لوسوسة الشيطان بأخذ ملامسات مع زائرات مقام الكاظم.
بعض الصدور والمؤخرات للنساء تدعوك لمصافحة حسية وفيزيائية.

هذه الليلة الباردة لا تريد المغادرة
أشعر أنها سرمدية.
سأشرب كأسا ثانياً وثالثاً.
الصباح أمنية مستحيلة.
لكني،
أحاول إستدعائه.

يا اللّه، نشتاقُ لضحكاتِكَ

يا الله، نشتاقُ لضحكاتِكَ و أنتَ تسمعُ هذيانَ الدراويش، و أنتَ تسمعُ دعاءَ العجائزِ وطلباتِهنَّ البسيطة. جدّاتُنا وأمهاتُنا قليلاتُ الفقهِ، لا يمتلكنَ لغةً نحويةً فخمةً في صياغةِ الأدعيةِ. كنتَ تفرحُ وتقهقهُ لسماعِ صلواتِهنَّ.
الفلاحون الأميّونَ يحبونَكَ، كنتَ تُهديهم السحابَ حبلى بالمطر. تغيَّرتْ أحوالُ الطقسِ، أصبحتِ السماءُ مصدرَ الرعبِ، تحتلُّها أحصنةُ النارِ الملعونة، تركضُ فيها شياطينُ الإنسِ لإقامةِ مبارياتِ كرةِ القدمِ. الرعاةُ لا يجدونَ العشبَ المبهجَ لينشِّطَ خيالَهم لغناءِ الأشعارِ الشعبية.

أنا هنا كعادتي في الحانةِ، أنتظرُ حصادَ منتصفِ الليلِ، لعلَّ أحوالَ الطقسِ ستتحسَّن هناك. هنا فتياتٌ يثرثرنَ عن الجنسِ والمتعةِ، أجسادُهُنَّ خُلِقَتْ معجونةً بالموسيقا، سيقانُهُنَّ منحوتةٌ للرقصِ، تصلحُ بعضُهُنَّ ممثلاتٍ في أفلامِ الكبار. تطوفُ بهنَّ مخلوقاتٌ نورانيةٌ، تحرسُهُنَّ من التحرشِ وتغضُّ بصرَها عند المداعباتِ الشجاعة. أسترقُ بعضَ النظراتِ إلى الصدورِ والأفخاذِ التو اقةِ لمغامراتِ الليل، أحاولُ استدعاءَ بعضِ الحروفِ.

أحلّقُ في سقفِ السماءِ، أسمعُ ضجيجَ الملائكةِ وتذمُّرَها، تضربُ بسياطِها السحبَ السمينة. السماءُ هنا مزخرفةٌ وسخيةٌ، ترشُّ كلَّ يومٍ من أثدائِها الماءَ والبَرَدَ والثلجَ. تنهضُ الشمسُ مخمورةً، يتشبَّثُ في مؤخَّرتِها قوسُ قُزحٍ. أنا بين عالمي هناك وعالمي هنا، وربما بين ثلاثةِ عوالمَ.

الكتابةُ ليست فعلاً صعبًا لشخصٍ مريضٍ نفسيًّا، لكنها مرهِقة. هنا خنادقُ المتعةِ مفروشةٌ باللذةِ، تناديني كائناتُها المُبشِّرةُ بالجنةِ. هي لا تعرفُ اللهَ كثيرًا، ليس لديها الوقتُ للتفكيرِ فيه. أما هناك، فأجسادٌ وأرواحٌ تصلي خمسينَ صلاةً في اليومِ والليلةِ، لا يُرهقها كثرةُ السجودِ والركوعِ، ولديها الأملُ في أنْ يلمحَهم الربُّ ولو بالمصادفةِ ويبتسمَ لهم.

جدتي تقول: "إنَّ بعدَ العسرِ يُسرًا." يرتجفُ جسدُها الضامرُ، يرتعشُ لسانُها بالتهليلِ والتقديسِ، لكن يبدو أنْ لا أحدَ يفهمُها. السماءُ لا تمدُّ حبالَها لالتقاطِ صوتِها الضعيفِ. ضجيجُ القنابلِ والمدافعِ يقصفُ صلواتِ الجوعى، السماءُ لا تبذلُ جهدًا إضافيًّا لاستقبالِ الذبذباتِ الخائفةِ والمنكسرةِ. يُشاعُ أنَّ الملائكةَ تخطِّطُ لمسيرةٍ تضامنيةٍ مع شعبي أو إقامةِ صلاةِ استسقاءٍ.

كي يخرج لنا مما تنبت الأرض من أجلِ الأطفالِ الجوعى.
الخمرُ يفعلُ فعلتَهُ، رأسي يتكوَّرُ، يهربُ مني، يركضُ في فلكٍ تائهٍ، لا أستطيعُ إكمالَ هذا النصِّ.

أعشقُها

كتبتُها بالعربية ومراتٍ كتبتُها بالفرنسية.
يبدو أنها غجريةٌ ومتمردةٌ على ذكرياتِنا المحفورة على أوشحةِ الليل،
منحوتةٌ على كؤوسِ النبيذ،
على فناجينِ شايِ الكبوسِ كنّا نضيف له الهيلَ والقرنفلَ والحليبَ النورماندي.
كانت الروائحُ العطرةُ تُسكر الليلَ فيترنّح خجلاً،
ينسحبُ تاركاً لنا الساعةَ الحائطيةَ، تسيرُ عقاربُها ببطء، تتصنّت.

أعشقُها،
ولديَّ شهودُ عيانٍ سيحلفون:
العنكبوتُ كانت تسكنُ في زاويةٍ عليا،
تشتاقُ للحظةِ إشعالِ سيجارةِ الحشيشِ نشعلُها قبل ممارسةِ الحب.
وتلك النملةُ تركضُ في الممرّ المؤدي إلى المطبخ،
تهمسُ لرفيقتِها: لا خوفَ من أحذيةِ العشاق.
تأخذ النملةُ من حقيبةِ رفيقتِها قلماً وورقةً لتجمع حروفي التي سقطتْ سهواً مني لقصيدةٍ غزلية.
وتلك الذبابةُ أدمنتْ النبيذ،
أدمنتْ الرقصَ،

لا أحد الليلةَ يأتيها برزقِها.
جذعُ النخلةِ ينزفُ دماً،
جذعُ النخلةِ لا تزوره الفراشةُ المخضّبةُ بحنّاء تهامة.
كانت الفراشةُ تطوفُ بنا،
تحيكُ من زفيرِ المبخرةِ فساتينَ معطرةً لليالي التزاوج.
تذهب إلى قومِها تحملُ حكاياتٍ،
ترويها لهم بطريقةٍ ممسرحةٍ؛
المسرحُ ليس محرّماً في بلادِها،
الحبُّ والرسمُ حلال،
لا خوفَ من الموتِ ولا من الشعر.
حكيمةٌ تلك الفراشةُ لكنها فقدتْ جناحَها الأيمنَ في زيارتِها الأخيرةِ إلى صنعاء.
لم يُذع أحدٌ الخبر،
لم تعلنْ أي جهةٍ مسؤوليتَها عن الحادث.
تم تقييدُ الحادثةِ ضد مجهول.
هناك من تعاطفَ معها بتغريداتٍ،
وهناك من ظلّلَ صورتَه بظلِّ جناحِها الذي يحكي تفاصيلَ إحدى حكايتي الجنسية مع عشيقةٍ فقدتْ بوصلتَها.
لا أعلم كيف ستصلّي بدون النصوصِ التي كنتُ أكتبُها من أجل صلاتِها؟
أشكُّ أن اللهَ سيقبل صلاتَها بدون مداعباتي اللطيفةِ بعد الوضوء.

أعشقُها،
لكني أبحثُ عن وطني تأكلُه الحربُ،
عن أرضٍ تركضُ حافيةً خوفاً من القصف،
يهتزُّ سقفُ السماءِ وقد يسقطُ في أي لحظةٍ.
يُشاعُ أن الخضرَ صاحب موسى قد يرمّمُ وجهَ السماءِ لكنه يفتقدُ لطينٍ رطبٍ،
يفتقدُ لعشبٍ ر اقصتْه الريحُ ومازحتْه طيلةَ فصلِ الخريف.
يُشاعُ أن أشجارَ النخيلِ والرمانِ والعنبِ والبنّ
جميعُهنَّ سيتبرعن ببعضِ أطر افِهن،
وأن الخضرَ سيصنعُ عكازًا للسماء من شجرةِ "الغريب" المعمرةِ وسيخيطُ للأرضِ حذاءً ووسادةً.

لا أستطيع

لا أستطيعُ من أمري صبرًا.
تكونينَ في كلِّ رقصةٍ فراشةً لا يراها أحدٌ غيري.
سأجعلُ من قلبي حجرًا أصمَّ، أقذفهُ في اليمِّ المهرولِ نحو المحيطاتِ الجائعة.
تربكني صورُكِ المتناثرةُ في كلِّ الأماكن التي ذهبنا إليها معًا، مرسومةً على فنجانِ قهوتي، على جسد سيجارتي.

نظاراتي تحتفظُ بتفاصيلَ دقيقةٍ لحدائقِ أنوثتِكِ.
كان الضبابُ يُفيقُ متثائبًا، نراقبُه وهو يوزعُ طاقياتِ الإخفاء على الكنيسةِ والمقبرةِ وحديقةِ العشاق.
بعد أن ينتهي من مهامه، يقتربُ من نافذتنا، يتلصص.
ينهضُ الصبحُ مرتعشًا بين جسدَينِا العاريَين.
تضحكُ قنينةُ النبيذِ الفارغةُ على الطاولة في ركنِ الصالة، تبتسمين، يكونُ فطورُنا على عشبِ الرغبة،
يرتفعُ شهيقُنا وزفيرُنا، تتزحلقُ قطراتُ الندى على السطحِ الخارجيِّ لنافذتي.
ها هو الآن الليلُ، يأتي محمَّلًا بجحافلِ الصقيع، و أنا شبه شطيرةٍ بائتة.
لعلَّ أهلَ الكهفِ يمرون من هنا، أكونُ معهم حينًا من الدهر، نعدُّ الدراهمَ الرومانيةَ القليلة،
نبحث عن شخصٍ يتقنُ فنَّ التمثيل ليشتري لنا طعامَنا.
نقضي وقتًا ممتعًا في عملِ بروفاتٍ لحياةٍ ما بعد الكهف.

لعلَّ عُزيرَ يمرُّ من هنا، على حمارِه الجديد المزود بتقنيات أمنية وتكنولوجية تحذّر من الألغام والقذائف المتروكة،
ليحملني إلى عالمٍ لا يكونُ فيه حلمٌ أو خيال.
لا أبحثُ عن معجزةٍ خارقة؛ لا أستطيعُ من أمري صبرًا.

شتاءُ هذا العامِ والأعوام الماضية بدونكِ لا يحملُ الكثيرَ من المسرات.
تلفحُ وجهي عطسةُ البحر، أشتاقُ للندى.
كلُّ ما أريدهُ مسحُ هذه الصورِ الذهنية، غايتي الانسحابُ من سجلِّ العشاقِ دون ألمٍ.
تحبو الشوارعُ الباردة، تحاول حضَّ خطواتي لملامسةِ رصيف الحانة الدافئ.
قَدَمُ العاشقِ لا تتقهقرُ وهي ترسمُ لوحةَ البحثِ عن عشيقتِه.
تهزني ذكرياتٌ قديمة، أعودُ و أبحثُ عن وجهِكِ في تفاصيلِ جدرانٍ وأزقةٍ المدينة، كما يفعلُ قيسُ بنُ الملوح،
يقفُ مع كلِّ جدارٍ يهمسُ في صدره بقصيدةٍ رفضها الناشر، أو لم يفهمها القرّاء.
نحوَ الخماراتِ تلهثُ خطواتي البطيئة، نهرٌ من الجعةِ لا يروي عطشي.
ليت قلبي حجرٌ مهملٌ، ليته علبةُ سردينٍ فارغةٌ أصابها الصدأ.
ليته شيئًا ما ولا تكونينَ فيه، ولو للحظات.

عباءة الليل

يسعلُ جبريلُ، يترنَّحُ، يسيرُ باتجاهِ قريتي.
أرى مبنى أظنُّه بيتي هناك، النافذةُ مفتوحةٌ،
القريةُ تتشحُ بوضوءِ الفجر.
هناكَ، الدباباتُ لا تنامُ، القذائفُ تأكلُ وجوهَ الحُفاةِ المتجهينَ إلى الحقولِ الخائفة.

هل يفعلُها جبريلُ فيرسمُ لهم وجوهًا، رسمًا تخطيطيًّا طفوليًّا على الأقل؟
هذه أهمُّ مطالبهم بعد قراءةِ الفاتحةِ على كلِّ ميتٍ.
لا، لم يعُد أحدٌ يفهمُ مهمةَ كبيرِ ضباطِ الملائكة.
سمعتُ أنَّ تلاميذَ مدرسةِ "السلام" كانوا يُعدُّون إسكتشًا ونشيدًا، لكنَّ الصاروخَ القاصفَ بعثرَ أجزاءَ أجسادهم. كان عددُهم تسعمئةٍ فقط.
عثرَ رجالُ الإنقاذِ على توقيعاتِهم وبصماتِهم على رسالةٍ تقول: "نحبك يا الله."
ربما إذن جاء جبريلُ للتأكد من صياغةِ العبارةِ وسلامتِها من الأخطاءِ الإملائية والنحوية، وأنها حوت القواعدَ والديباجاتِ القدسيةَ في مخاطبةِ قداسةِ الربِّ العظيم، الرحيمِ والعادل.

ترتجفُ طاولتي هنا.
على الطاولةِ توجد بعضُ الكتبِ والفواتيرِ المتأخرةِ وقنينةُ النبيذ.
أنفثُ دخانَ سيجارتي السابعةِ أو التاسعةِ، يعطسُ الجدارُ المقابلُ لي منزعجًا.

الشمسُ ربما حبلى، أصابتها الدوخةُ، ففضَّلت البقاءَ على سريرِها هذا اليوم.
هذه العواصفُ الثلجيةُ والهزاتُ الأرضيةُ ربما عوارضُ الوحم.

الليلُ هنا أصبحَ شرِهًا، كلُّ يومٍ يلتهمُ قطعةً من ضوءِ النهار.
أحِيكُ من سراويلِ الليلِ بعضَ الصورِ النثرية.
أما هي... لا أدري إن كانت لها ممارساتٌ جنسيةٌ جديدة.
النجومُ كانت ترقصُ بحضرتِنا، وكلابُ البحر تحفظُ قصائدي الغرامية.
أرتشفُ حمرةَ نبيذِ بوردو، تهزني لذعتُه الأولى والثانية.
كانت الحبيبةُ هنا، تلتصقُ بي، تهوى تضاريسَ صدري.
أحيانًا كنتُ خائفًا من وجهِ الشتاءِ، أما اليوم فأنا أتوقُ لتلك المداعباتِ المحظورة، بيننا مسافات.
من يأتيني منكم بخريطةٍ تحددُ موقعَها الجغرافي، برجَها السماويَّ وما يُخفيه لها؟
سأظلُّ أشدُّ عباءةَ الليلِ، لعلهُ يهتزُّ أو لعلَّ قطرةً تسقطُ في روحِها، فينتعشُ حلمُ اللقاء.

دمي يسري في خدِّ كلِّ وردة.

صمتُكِ يرسمُ لوحاتِ الفراغِ الموحِش، تخافهُ الأشباح. لا يفهمُ لغةَ البُكم كي أطلبَ فتحَ حوار. يطرقُني البابُ ممسكًا بمفتاحٍ من ضحكاتِكِ القديمة، يضربُني بمطرقةٍ من بكائِكِ في آخرِ لقاء. تتذكرين؟ كانَ الفراقُ في محطةِ الحافلات. أسرعتِ بالصعودِ دونَ منحي نظرةً أحتفظُ بها للقاءٍ قادم. هممتُ مرارًا بحرقِ نعشِ الذكريات، حملتُه إلى المعبدِ في اللحظةِ الأخيرة، لكنّ الكهنةَ أحرقوني، نثرَ بوذا رمادي في النهرِ المقدس. ركضت الريحُ لتلتهمَ نصيبَها، وكان ذلك في فصلِ تلاقحِ الورود. منذ ذلك العصرِ، ودمي يسري في خدِّ كلِّ وردة.

أتجهُ للوادي المقدس بقلبٍ طوَّاه العشق، أودُّ أن أصلي ركعتين تحيةً للوصال. لتبتسمْ شمعتُنا ضوءًا، وترقصَ مبخرتُنا مسكًا وعنبرًا. تشتاقينَ لسيقانِ البخور تتسلقُكِ، تتوجُ أعلى قمتِكِ بموجها وغيمها، تمنحينَها بعضَ الإثارة. نستقي من نجومِ الشمعةِ أقداحًا ملونة، أنتِ قهوتي المحوجة، و أنا حفنةُ السكرِ الأسمر الذي تستمتعينَ بذوبانِه في شفتيك. نستوي على موقدِ اللذةِ ليلًا، ويرتشفُنا الصباح، نمتزج لنكون أهزوجته، يغنيها لنفسه وهو يتناول فطورَه وفنجانَ الشاي المفضَّل إليه. أودُّ أن أكونَ و اقعيًا، لكنَّ لوحاتِ (سلفادور دالي) تمسكني، تغرقني بعزفِها الملوَّثِ بالأساطيروضجيجِ نشيدِ الخر افة. أودُّ الخروجَ من فانوسِ الخيال، أدفنُ محبرتي، المبخرةِ، والشمعدان، أبحثُ عن قبرٍ بلا معالم، لا يزورهُ أحد. عشقٌ لم يرتكبْ خطيئةً... فلماذا يُرجَم؟ هل كنا ضحيةَ خطأٍ مطبعيًّا غير مقصود في لوحِ القدر؟

ليلى وقيس

موتُ حبّنا ليس حدثًا عابرًا، ولا بسببِ الجغرافيا. موتُ حبّنا لا يُحيا بمباركة القسّ أو الفقيه؛ فالحبُّ لا يعيشُ ببطاقةٍ مدنيةٍ أو ختمٍ رسميّ. للحبّ قانونٌ آخر.

ليلى أحببتْ قيسًا، ليلى لا تزالُ تبكي إلى يومِنا هذا. شاهدتُها ذاتَ مرةٍ تمرُّ بالشارعِ المؤدي إلى المقبرة، تحملُ كوزًا وباقةَ ورد. سألتُها: لماذا تحملينَ الكوز؟

قالت: "إنها دموعُ البارحة".

بعد أيام من آخر مئة قبلةٍ رسمتُها على جسدِها، غادرتْ حبيبتي لتحضرَ قليلًا من الماءِ المقدس. وعندَ وصولها إلى النهرِ، كسرتِ الإبريق. استغربتِ الآلهةُ من فعلها.

سألها إيروس، إلهُ الحبّ والرغبةِ والجنس: ماذا حدث؟

غضبَ إلهُ الحلمِ صارخًا: "أغربي عن وجهي! من يبيعُ عشقَه لا يستحقُّ ابتسامةَ الرب."

ليلى تعرفُ أن العشقَ ضحكةٌ إلهية تُهرِ في القلبِ، وتبتسم مع ابتسامةِ الربيع حينما يمشي حافيًا، لا يخافُ حقولَ الألغام، ولا يخشى السماءَ المتنكّرةَ في زيّ شجرةِ التوت.

عيناها محمرةٌ من الضحك، والياسمينُ المعطر يعري صدره ويشاركُ في رسمِ لوحةٍ فيها القليل من المعاني المفهومة والكثير من الفانتازيا.

الخوفُ فقط من أن يكونَ مزاجُ الريحِ متعكّرًا، وحتى لو حدثَ ذلك، ستكونُ الرقصةُ مغامرةً مبهجةً، والوردُ سيظلُّ مبتسمًا على قبرِك يا قيس.

ملح وحجر

ينحني الريحُ ليُقبّل ساقَ الوردة، يشتعلُ المطرُ فوق العشبِ، تتساقطُ أوراقُ شجرِ الجميزِ متعانقات، يُحرّك الشجرُ أذرعَه ليرفعَ ستارةَ الضباب. وفي زاويةٍ أخرى، رأيتُ غزالةً كسولة تنامُ في ضوءِ الصمت، تستسلمُ الوردةُ للرغبة، تُلقي بمعطفِها.

يتعثَّرُ القمرُ في مشيته، يتركُ كأسَه الأخيرَ ممتلئًا، يحاولُ أن يُفرغَ طفايةَ السجائر، يتقيَّأُ عدة مرات كي يستعيدَ عافيته. يلهثُ.

يسرعُ في خطواتِه باتجاهِ عمودِ الإشارةِ الضوئيةِ البكماءِ، يظنُّها عاهرةً رخيصةَ الثمن، ليكتشفَ أنه وقعَ ضحيةَ الوسواسِ الخنَّاس، ثم يرى ظلَّ عاهرةٍ رومية على الجسر، يتحركُ نحوها...

يكتشفُ أنها جذعُ شجرةٍ يابس تخلى عنه مكتبُ البلدية. تحومُ حول الضوءِ فراشةٌ لا تَسأمُ من التحليق.

يرتعشُ غصنُ الشجرة، تسقطُ قطرةُ ندى، أحاولُ التقاطها، تسبقني ضفدعةٌ تلتهمُها ثم تلتهمُ ذبابة فقدت رفيقها، ثم تقفزُ من النافذة.

أشعلُ سيجارةً ثانية وثالثة، أنفثُ الدخان، يهرولُ مبتعدًا يبحثُ عن منفذٍ للخروج، حرارةُ الصالةِ لا تُطاق، على المنضدةِ شمعةٌ واحدة تشربُ دمعتَها الأخيرةَ ثم تتظاهرُ بالنوم. تختفي الفراشة، لا أدري هل وجدتْ منفذًا للخروج أم اصطدمتْ بالحائط؟

يقفُ الحائطُ منذ زمنٍ، لوحةٌ سوريالية علَّقتُ عليها وجوهًا أتأملُها أحيانًا، وأخشى النظرَ إليها في أحيانٍ كثيرة.

يسوقني الخيالُ إلى دهاليزِ الجنون، تُغريني موائدُ الهذيان، أتذكركِ حينما يرتدي الكونُ ملامحَ الليلِ وأثوابَ الضوءِ والظلمة، هل تشاهدينَ هذا المنظرَ الذي أشاهدُه الآن؟ تهطلُ رائحةُ المطر.

هناك طفلٌ يحدِّقُ في عينِ النهر، يظنُّ النهرَ سجادةً من المرآيا تبتلعُ الوجوهَ والمبانيَ القديمة. هذه الكاتدرائية التي كنا نتواعدُ عند ظلِّ ساقِها الهرِم، يهبشُ الصقيعُ بعضَ أنفاسِها، تمدُّ يدَها إلى النهرِ لتغسلَ خدودَها، ثم تُعلِّقُ ما يزيدُ عن حاجتِها ليكونَ سحابة.

كنتُ طفلًا صغيرًا أتحدثُ كما يتحدثُ الأطفال، نلعبُ كرةَ القدمِ بقوانينِنا الخاصة، نضعُ أحلامَنا من أكياسٍ بلاستيكيةٍ ملونةٍ ثم نعود لنأخذها بعد اللعب. من عُلبِ النيدو نصنعُ طبولًا للفرح ونشتري بعضَ

الألعابِ الناريةِ الرخيصة، ترفضُ أمهاتُنا أن تعيرَنا عودَ ثقاب. كنتِ تصفيني بأنني الطفلُ المجنون. أودُّ أن تظلَّ كتاباتي لكِ وحدكِ، دعيني فقط أُخبر أصدقائي بسقوطِ صواريخَ على مئذنةِ الجامعِ القديم في قريتي المؤمنة هناك.

هرع الناس لإنقاذِ صوتِ المؤذّنِ ينشدُ "حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح"، الصوتُ يحترقُ إلى هذه اللحظة وقد يظلُّ لأسابيعَ وشهورٍ قادمة. أُغلقت المدرسةُ المجاورةُ للمسجد بعد حريقٍ أكلَ التلاميذَ ورسوماتِهم العفوية، كانوا في حصةِ التجويدِ يرتّلونَ سورةَ الرحمن. الناسُ بحاجةٍ إلى مئةِ نبيٍّ كي يؤمنوا بالعدل، كي يتأكّدوا أنَّ الموتَ ملاكٌ سماويٌّ ونورانيٌّ. أنا مقتنعٌ بما سمعتُه عن الملائكةِ في طفولتي، وما سمعتُه منكِ عنهم.

هم طيبون هنا وفي كلّ البلدان، لكن في اليمنِ والعراقِ والشامِ وفلسطين، الصورةُ مشوَّشة. المشكلةُ أنَّ الأطفالَ هناك يرتبكونَ في رسمِ وجوهِ الملائكة، يرتبكونَ في رسمِ السحابِ والبحرِ والديبِّ الأبيض. لا يوجدُ سوى بقايا روائحٍ متفحمةٍ بصقها الموت. بقي من الألوانِ الأسودُ والأحمرُ والرماديُّ الغامق. هل يسمحُ الله أن يرسمَه الأطفالُ بما بقي من هذه الألوان؟

أن أكون مطرًا

أحلمُ أن يكون لي قطارٌ، يُصفِّرُ ويهرولُ، وأن تكون لي سحابةٌ حُبلى بالمطر. لا تفرغي ماءكِ بعنفٍ فوقَ حديقةٍ خضراء أو في غابة.
في الغابة، زهورٌ ووحوشٌ. هناك بقايا هيكلٍ عظميٍّ لطفلٍ فقدَ طريقَه، وعجوزٌ يحملُ حطبًا ليقضي ليلةً دافئةً مع زوجته الهرمة. كلما حاول تقبيلها، تدفعه برفقٍ وتقول: "ذهبت أيامُ زمان." في الغابة، عصفورُ الحبّ يبني بيتَه، يجمع الأعوادَ اليابسة وأشياءَ مهملةً يتركها الزوارُ ليزينَ بها العش، ليغري عشيقته.

في الحديقة الخضراء، الثعبانُ الجائع يبحثُ عن فريسة، يختفي في حقلِ الورود، ينتظر فريسةً جميلةً زاهيةَ الألوان، أو كائنًا يعشق العطر.
هناك في الصحراء، أرى عاشقَ بثينة يبحث عن كلماتٍ لم تُدوَّن في قواميسِ لغةِ بني أمية، يُخادع الجلادَ والسيافَ ومفتي الديار ليكتبَ قصيدةً غزليةً جديدة.
أمطري على الصحراء، كي تكون لي قصيدةٌ، وكي يكون لي كوخٌ ريفيٌّ لا تهدده "البوكيمونات الشريرة." في البعيد، أرى خيمةَ بدويٍّ يتقن العزفَ ولغةَ النجوم. سألته: "كيف تصبحُ لي صورةٌ في حلمِ العشيقة؟"
شرحت له أكثر وقلتُ: "لا يهم أن تكونَ بالأبيضِ والأسود؛ فأنا لا تُعجبني كثيرًا البهرجةُ اللونية، أعشق الألوانَ التي تُصفقُ عندما ترقص، عشيقتي." وعدني بتميمةٍ وتعويذةٍ سيكتبها عندما تصفو السماءُ ويزول دخان الحروب والحرائق.

يُوحَى إليّ

يهطل الشتاءُ حبرًا، تنمو الحفر والدهاليز في خيالي بلا شكلٍ هندسيّ واضح، وأُسرف وقتًا طويلًا في محاولاتٍ فاشلةٍ لقياس عمقها. الضفادع الأنيقة ذات القبعات المدببة، تهتف مع الهاتفين في مظاهرة حماة البيئة، أهربُ إلى الحافلة العامة المتجهة إلى وسط المدينة. يكبرُ الضجيج ويوقف كل الحافلات. تُحضّر الضفادع لإقامة مهرجانٍ عبثيّ، وقد اتفقت فيما بينها على اختيار أزياء و أقنعة تاريخية.

قالت واحدة: "أخاف أن يغريني السراب بوعوده المفرحة."

حذّرتها رفيقة لها من الصيد على الأسطح اللامعة. هذه الكائنات تمتلك خيالًا واسعًا، وربما تستغلها القناة للقيام بربيعٍ ثوريّ في بلادٍ ما؛ المهم أن يكون خارج جزيرة العرب وألا يؤثّر على البورصة.

تنمو كلماتي عُشبًا مُبللًا في دفتري الصغير، تهرع الطيور المهاجرة إليها لممارسة رياضة التزلّج قبل موسم التزاوج. المنظرُ فَرائحيّ، يشبه لوحة "بعد ظهر يوم أحد في جزيرة لا غراند جات" للرسام الفرنسي جورج سورا.

يقترب غرابٌ يرتدي بذلةً عسكريةً بربطةِ عنقٍ حمراء، يصرخ ويزعق فتتغيّر ملامح المشهد؛ يفقد الثلج بياضه، تسقط عباءة الضوء، وتذبل القصائد في قلب عشيقتي.

قلت لها: "الشِعر لا يعترف بخائن باع وطنه من أجل صفحةٍ تاريخية."
يتسابق الجائعون لشراء بقايا فتات أحلام ليلة القمر الأحمر الدموي؛ تنثر الريح بقايا نقاط حروف كلمات شعراء ماتوا في صحارى ومحيطات، الحروف لم تنبت قمحًا، فتكون الصدمة، تهربُ الريح بعد أن سرقت الرمل المعتّق، يقهقه السكون، تبتلع الظلمة كؤوس الندى.

أنا على مقربةٍ من الرصيف المؤدي إلى الحانة، أَمرُّبجانب بو ابة الكنيسة وأرى المسيح غير مصلوب، وجوه المشردين تمجد الصليب.
أسترق نظرةً إليهم ثم ليسوع، فيبتسم، ويشيرلي أن أهرول، لكني لم أسمع إلى أين.
في تلك اللحظة سمعتُ وَشوشة البخوريتسلّق فخذ السماء. تذكرتُ أن حبيبتي كانت تغتسل عاريةً في أمواجي، تُشعل البخور، تتدهن ببعضه وتزرع بعضه على الجدران. أكتبُ عن الحبيبة والعشق والكتابة والخمر ولا أصرّح بها لمكتب الضر ائب.
يهطل الشتاء بأحذية متخفية لا تصدر صوتًا، تركل البرد، ينصحني متسكع مخمور قائلاً: "أنت بحاجةٍ إلى كأس ويسكي لترقص بنات الملائكة على صدر خيالك. هنا جميلات، لكنّ واحدةً منهن لم تحتفظ بغشاء البكارة في هذه المدينة."
أتدثّر في معطفي، يُوحى إليّ أني أرتعد شوقًا إليها، إنه البرد الذي يجعلني أرتجف.

أحِسُّها تُوشوشُ من بعيد

تتباهى الشجرة الكبيرة بأذرعها الطويلة، لا تزال تسكنُ هذا الجزء المهم من وسط المدينة وترفض الرحيل رغم إنذارات مكتب الحدائق بالبلدية، تنام الكنيسة الصغيرة مطمئنةً بجانبها. المسيح يتأرجح على الصليب، مستذكرًا أيامَ الطفولة، وكلما أحسّ بالعطش، تُسرع الشجرة بهزِّ أصابعها لتكسر ساقَ سحابةٍ، تُتقاسمها معه ومع جراد قوس قزح الملوَّن، ذلك الجراد الذي جاء من جنوب مدغشقرونسي طريق العودة. تقول الشجرة إن المسيح طفلها بالتبني.

تركضُ الريحُ لرفع بقايا جثةٍ متعفنةٍ لحمامةٍ من نوع "حمام بخارى عازف البوق"، تغيّر لونها ومع ذلك لا تزال الدمعة الأخيرة في عينها اليمنى. الشمس تقود قطارها وتشُقُّ حقولَ العنب، تخاف أن يصطدم بقطار الريح الذي يُحدِثُ ضجيجًا ويرفُسُ ما يعترضه. الشجرة الأم منزعجةٌ جدًا، فنصحت بناتها بعدم ارتداء السراويل القصيرة في هذا الموسم.

كنتُ أقفُ لحظتها لإشعال سيجارتي، فسمعتها تقول: "أشتاقُ إلى الصيف الذي يُطعم الشمس حطبًا مشتعلًا، أشتاق إلى ظلّي يتمدّد وقت القيلولة. يُعجبني خياطةُ شراشف من الليل عند الظهيرة، أنثره على المارة، و أنسج للعشاق بعضَ الليل ليحملوه إلى بيوتهم".

هذه الشجرة تعرف ملامح عشيقتي؛ سألتها أن تبحث في كراريسِ ذاكرتها عن ضحكات عشيقتي وبهجة عناقاتنا. أتذكر أننا كنا نمرُّ من هنا، نشتري

من الظل ستائرَ، نفرشها على ضوء الشموع. ذهبتُ عدة مرات إلى السوبر ماركت، بحثًا عن رفوفِ بيعِ الأحلام.

اقترب مني البائع وقال: "قد تجدُ بعضها في سوق الخردة، لكن عليكَ قراءة بيان الغلاف"، وحذّرني من وجود موادٍ مغشوشةٍ تسبب ضعفَ الباءة.

عدتُ إلى الشجرة وطفلها المصلوب، وجدت الأزقة ومو اقف الحافلات فارغة، نسيتُ الصباحات الباكرة وساعة المنبّه وتأخرت لساعات. يتسكع الضباب متحديًا قانون الطوارئ. ظلمةٌ لا أرى منها شيئًا. أهرش بأظافري جدران الخوف لعلّي أرى موقفَ الحافلة، رُبما تكون هناك، تنتظر الحافلة رقم 5 أو رقم 7. أحسُّها تُوشوش من بعيد في أذن بعض أحلامي، أحسُّها تُوشوش قلمي ليكتبَ لها ما تريد.

من يمنحني حبلًا كي أربط خيالي في ساقِ جبلٍ لا يرقص ولا يرغبُ بالهجرة؟ يتعبني وجعُ الفراقِ المستبدّ.

المصير

الخريفُ المريضُ يسعلُ رغم تباشير الربيع، وعبر زفيره يُرسل الريحَ المحمّلة بالفوضى والموت. تتساقط أوراق الشجرة السنوبر المتعبة، دعها أيّها الريح تلهث أنفاسَها الأخيرة بقرب أمّها الشجرة. تركض الأوراق المتساقطة إلى جهة المحطّة، تحاول القفز، ويدوسُ بعضها القطار المتجه إلى المدينة حاملًا معه أحلامًا وأحزانًا ريفيّة.

ها هو أورفيوس يقهقه مخمورًا في الشوارع الحمراء، و إيروديس تغتسل عاريةً بالغابة لإغواء جلجامش. يُغنّي القطار بصفّارته، ويعود إلى المحطّة، وعلى مقربةٍ من قضبان السكك الحديدية نبتةٌ تحلم بالحياة. كلما مرّ القطار من قربها، تشعر برعشة الموت. وعلى الرصيف، كلبٌ أليفٌ يداعب ساق فتاةٍ لم تنتبه لكثافة الشعر الزائد على ساقها. تصحو الشمس بلا حمالات صدر، مبلّلةً بشيءٍ تستحي من ذكر مصدره.
كنا في الصبح نتذكر عبثَ الليل ومجونه، وأحسُّ بصداعِ نبيذِ البارحة، أشتَهي فناجينَ من شفتيها.

هذا المساء

الريحُ تمضغُ وجهي، وقدمايَ ثقيلة بشيءٍ يتسلق ساقيّ يشبه الرمل، وربما شيئًا آخر. لستُ قادرًا على الرقص بدونكِ، ولا أفهم كيف أصبحتُ مولعًا بالشعر؟

ثلاثُ فراشاتٍ زاهية الألوان قرب نافذتي، وعصفورٌ يلهث، تغريه سحبٌ عقيمة. لن تُمطر هذه الليلة.

تصفقُ الظلمةُ فوق السقف، الأبيض والأحمر، وقناني النبيذ تغريني، ربما.

عيناكِ تغني بعض ملامح وجهي. أسرعي في الحلمِ قبل أن تأتي الملائكة لتأخذ صورة فوتوغرافية له.
قالوا لي:
"حلمك طفلٌ مجنون، من الصعب شفاؤه."
في صباح اليوم التالي، وجدتُ صورتي وتصريحهم في الجريدة الرسمية.

لحظة

على طول الرصيف، ورغم الضجيج، يعلن العشبُ رغبته في الرقص.
يركض الأرنب البري خائفًا من قهقهة هواة الصيد المخمورين. يمد رأسه عمودُ الضوء، محاولًا تقليد زرافة كليمنجارو.
في الساحة العامة، يمارس الأطفالُ لعبة التفكير.
أجلس منتظرًا النادلة.
تسألني عن قهوتي.
تتبعثرنظراتي في صدرها المغري. أحاول جمع ثلاث كلمات تصلح أن تكون جملةً مفيدةً أو نكتةً، ثلاث كلمات تصلح أن تكون مقدمةً لقصيدة.
تذوبُ ملامحي الشرقية، يلتقطها أحد المارة ويضعها في قسم الشرطة في صندوق المفقودات.

يخيل لي أنها تهمس: "سأكون حرةً هذه الليلة، و أنت؟"
أحاول الكلام، أتلعثم محاولًا الرد بجملة مفيدة: "أنا... أنا سأكون حرًا من أجلكِ هذه الليلة."

جرس.. جرس

ضجيجُ ثمارِ الكرزِ الأحمر،
ضجيجُ نسيمِ الصباحِ الناعمِ،
يصفعُ الوردَ ونباتاتِ الشرفاتِ.

تصمتُ هازجة اليمن، تحركُ جناحيها
تسمعُ هلوسةَ الطفلِ الرضيعِ، تحاول أن تتذكر أهزوجة كتبها عمر بن بر اقة الهمداني.
الشجرُ الحافي يعجزُ عن الركضِ.
الطفلُ يحاولُ محاورته.

يومٌ آخرُ ليس فيهِ أنتِ.
الكأسُ الفارغِ ينتظرُ أن تعود النادلة ميجان،
دخانُ سيجارتي يرسمُ مشهدًا من مشاهد فيلم العصر الذهبي
أهي مجردُ صدفةٍ؟
أن يهطلُ المطرُ.
ويذوبُ ظلي.

النافذةُ بلا إطارٍ متساويِ الأضلاعِ.
لا مرآةٍ تعكسُ وجهكِ أيها العاشق يوم تفقد عشيقتك أو يضيع وطنك.
أحاولُ البحثَ عن حلولٍ للهروبِ.

أنا في منطقةٍ أخرى، خارجَ خطوطِ الطولِ والعرضِ والتي تبدو لي مبعثرة.
القصيدةُ ليست في كوكبٍ دريٍّ.
تتوهجُ الظلمةِ،
يعربدُ الصمتِ.
ضجيجٌ... ضجيجٌ.

جرسٌ، جرسٌ، لا أحد يسمعهُ،
حتى أنا.

خربشات

لا أفهم ما تقوله مذيعة نشرة أحوال الطقس، كانت السماء مفروشةً بالعشب المبلل، الأرض تسعل سحبًا رمادية مجنحةً بالزرقة.

أنا هنا، أسمع همسات الرغبة بين فتاتين، على الطاولة، رماد سجائري ليست خبزًا. أحاول قراءةَ خربشاتٍ فوضويةً على جدار فنجان القهوة، قيعان الظلمة في الأسفل، تبعثر الشمس ضوءًا بنفسجيًا، تنثر فقاعاتٍ كلون بقرةٍ اشتهاها الله لمائدته، صفراء فاقع لونها.

نحوي يهرول الرصيف ليقول شيئًا لكن الشرطية المتعجرفة أوقفته بتهمة الضجيج. كل شجيراتٍ وأعمدة الضوء لبست زينة سانتا كروز.

يقول الهدهد: هي مجرد أقمشةٍ ملونة صنعت في الصين بطريقة رديئة.

في الحلم نرقص، نمزق كتب الجغرافيا وعلم الخرائط، كأني أرى عدار الداريقف في صف طابور الصباح. هو فقط غيابكِ يجعلني أرى وأرى.

يوحي في عقلي الباطن أني شاعر، هذه لجةٌ ممردةٌ لقصيدةٍ أخرى، لكن قلبكِ الجاف لا يغني. أود أن تسمعي همسةً شمعتنا، صلواتنا عراة، شهقات تلك الليالي التي أعجزُ اقتلاعها من بئر الذاكرة.

كل هذه المرآيا تصفق في صحوتي، يقطرُ المطرولا يهطل على قبري.

حياة القبور مليئة بالإثارة، الثلج يشبه حبات الجمر المشتعلة، لم أجد شيئًا يشبه كأس النبيذ، أشتاق إلى رشفة واحدة.

وجع

تسكبُ الشمس قهوتها، ترتعد الأزقة، تبحث عن كأس. كنتُ قرب الشرفة أتابع ما سيحدث، دعتني العشيقة لممارسة الحب. للظهيرة طقوسها، وللمساء صلواته، أما الليل فله كؤوسه. أنا مرتبك قليلًا، أشعر بر ائحة قبلاتها القديمة، لكن الليل الآن أصم و أبكم.
القليل من الخمر لم يجلب إلى خيالاتي المسرات، هناك بقايا شهقات عالقة في الفضاء، هشيم من همساتها يبحث عن قبر امرئ القيس؛ لي وجعي، ولها الهروب.

في ليلة فالنتاين، لم تعد هنا فراشات الصقلاب، تخاف من قوس قزح. يتواصل القصف من البحر والسماء، تتفحم الزهور. تميل الشمس إلى الغروب في وقت الظهيرة، يبتلعها دخان بلون الفحم الملوث. الليل تغتاله القنابل الفسفورية، تتحول كل المشاهد إلى خبر مختصر يُبث بعد منتصف الليل، توضع الحقائق في سجلات مؤرشفة وأجساد الضحايا في ثلاجات دافئة. بعض صور العشاق تظل ملونة وبعض قصائد العشق تموت مع صاحبها.

الكلب أيبو

تلك نو افير صيرة والمعلاء وصنعاء تتوشح بأحزانها. يضرب هوميروس بعصاه، لا أحد يدله على سقيفة العزاء. تتدفق أنهارٌ من السراب متجهة إلى البحر، تروي الثكالى بالظمأ. يهز الكلب الأليف "أيبو" خصيته البرونزية، حدث خطأ ما في البرمجة؛ كان عليه أن يبكي وهو ينقل بعض صور المذابح.

ها هو الموت يسكب فناجين القهوة للمصلين، كؤوس الويسكي لشعراء صعاليك فقدوا قصائدهم، ويقدّم الماء لمن تفحمت أجسادهم على سررٍ من القش المبلل بالأحمر القاني، في عيادات "أطباء بلا حدود". تحضر قبائل الذباب حفلات الولائم، والأرواح المغادرة ليس لديها تعليق على الحدث.

يحاول أيبو أن يثبت أنه أليف؛ لم يختر هذا المكان ليثبت قدرته على العويّ. ليس هناك لغة ولا برمجيات تنشط هذا الفعل. الحدث الآن: أيبو يعوي، وربما يصاب بالاكتئاب. تعاوت السحب، انقطع البث المباشر.

صرخت إيفانكا تطالب العالم بسرعة التحرك من أجل "أيبو".

مواقيدُ المطرِ

أهلي هناكَ ليس لديهم فروةٌ دافئةٌ كَتلكَ التي تدثّرتْ بها سجاحُ ليلةَ دخلتِها. السماءُ تبصقُ بأمعاءِ براكينَ عذارى، أصبحت البيوت عامرةً بالحرائقِ، يصفَرُّوجهُ جبلِ نُقمَ في صنعاءَ.

يحبو البحرُ باحثًا عن جحرٍ ليس فيه فئرانٌ جائعةٌ، والسُّحُبُ تعجزُ أن تكونَ باسقاتٍ، والزهرُ يفقدُ قدرتَهُ على الركضِ، والليلُ المخمورُ لا يأبهُ بما يحدث.

وحدَها الخنافسُ تمتطي بساطَ الريحِ.
قلتُ للعشيقةِ: "ليسَ بي نزلةُ بردٍ، يشغلُني عنكِ تحليلُ لوحةٍ لساعةٍ مائعةٍ، تلك التي رسمَها دالي قبل ثوانٍ من يومِ القيامةِ." طفلي الخارجيُّ أصابهُ الهرمُ قبل يومٍ من ختانِه، تركضُ تباشيرُ البؤسِ حاملةً قنانيَ الحزنِ، وترفرفُ بسبعةِ أجنحةٍ حوريةُ النهرِ الضامرِ. جفَّتْ مواقيدُ المطرِ.

تحبَلُ التنهيداتُ السّمينةُ على حبلِ غسيلِ الأمهاتِ، وتلدُ آهاتٍ لا يلتقطها الرادارُ، تتورّدُ الآهاتُ رغم رماديةِ الضبابِ. يرتعدُ جملُ اللهِ المعقورُ، وتُزفُّ إليه عشرُ نياقٍ، كلّهنَّ لهُ ساجداتٌ. على سررٍ من الشوكِ

وزرابيَّ منفوشةٍ، ترسمُ الخرافةُ أمانيَ الوهمِ، تهزُّعشيقتي جذعَ النخلةِ إليها، فتخلعُ النخلةُ حذاءَها الورديَّ وتركضُ عاريةً، تحاولُ الهربَ من بعوضةٍ مدرّبةٍ على العضِّ. بوصلتي كانت هنا قربَ منفضةِ السجائرِ، قربَ فواتيرِ مشترياتِ تخفيضاتِ الشتاءِ.

يكنُسُ طفلي المجنونُ بقايا قصيدةٍ منعتْ من النشرِ، يبتاعُ لي قسيمةً للمشاركةِ بالفوزِ بليلةِ القدرِ، يغتالُ النعاسُ حوريّتي قبل أن نمارسَ الحبَّ.

سأنتظرُ ألفَ ليلةٍ وليلةً لعلّها تفيق. كأسٌ آخرُ لعلّهُ يهمسُ في آذانِ الخيالِ قربَ شباكِ الانتظارِ من ذاكرةِ اللذةِ.

أحاولُ أن "أسترقَ السمعَ" لضحكاتِها، تمضغُني أضراسُ الليلِ المتسوّسةُ، تتبعثرُ لطماتُ الظلمةِ، أرى فيلقًا من النّدى يتشبّثُ على حافةِ نافذتي الموصدةِ. يُغامرُ العصفورُ بالغناءِ على غصنٍ يابسٍ، يُؤمنُ أن اللهَ يمسكُه بيدِه الحنونةِ، يرقصُ، يُغنّي، يُغري قرينتَهُ للجماعِ في عشٍّ من قشٍّ، فجأةً يتبعثرُ العشُ بيدِ الخريفِ المتجهِ إلى الرحيلِ.

تنسى العصفورةُ العشيقَ والبيتَ وتنشغلُ في البحثِ عن إبرةٍ وبرقاتٍ حريريةٍ، تجتهدُ لتخيطَ أكفانًا ناعمةً لمن سيولدُ في زمنِ هذهِ الحروب.

شجرة

السماءُ طبقاتٌ وطبقاتٌ من هواء، أتسلّقُ الشجرةَ العالية، على قمتِها... أختناق.

تحتَ أقدامِها، يحفرُ النملُ أعشاشَهُ، ترتعشُ الأغصانُ الهرمةُ، يتساقطُ بعضها، وعلى بعضها الآخر تبني أحلامها العصافيرُ المهاجرة.

تُمطر، وترقصُ الفراشاتُ في موسمِ التزاوج، وتستظلُّ تحتَ الشجرةِ عشيقتي.

يدي مُضَرَّجةٌ بالقصيدة

أمطري غيثًا من العشق، صدري أرضكِ المباحة. أنا كذلك سأزرع نخلةً ذات ظلال، ذات سعفٍ وأوراقٍ، ذات أعشاشٍ وثمر.

قالت السحابة: الريحُ تطاردُني.

يقهقه البحرُ، حباتُ الماءِ تغسل ساقيكِ، أرسمُ لوحةً للمشهد.

هذه يدي المُضَرَّجةُ بالقصيدة، ثغركِ، حمرةُ خديكِ، الربيعُ، شمسه تمتلكُ الرغبة، السماءُ الكسولة، أنا و أنتِ، نهرُ اللذة... كلُّ العناصرِ تدعونا أن نفعلها.

يهتزُّ القلبُ في ثنايا زهورعطركِ، بين الألوانِ والضوء.

خمرةٌ لم يخترعوا لها فتوى، سُقيا من شفتيكِ وما حولها، بالأحمرِ الملتهب.

تعالي نرقصُ بشجاعةٍ، عُراةً إلا من أثوابِ العشق.

صورة

وضع صديقي أحمد الأغبري صورته الأخيرة، وكتب: (بعدسة المصور حامد فؤاد... في فبراير ٢٠٢٣، صرتُ أُنكِرُ صاحبَ الصورة... سنةٌ في الحربِ تطوي من العمرِ عَشْرًا...).
أظنُّه حاول أن يبتسم، لكن وجد قلمه بلا حبر، وعيناه تلمعان بجروحٍ مدفونة. حتى الأوراق، البعض لا يراها بيضاءَ ناصعة. يتسلل الضوء من الكُوَّة، من الزجاج الملوَّن، ويبدو أن الجميع هناك ينظرون إلى المشهد كطفلٍ مصابٍ بالصدمة، يحاول أن يتذكر أسماء الألوان، أسماء النجوم، أبراج القمر ومنازله، مواعيد الشروق والغروب.

يخاف البحر أن يمدَّ رجليه، جَزْرٌ ثم جَزْر. تقول الجدات: "كان البحر يُمازِح الصبايا الجميلات، يلعب مع الأطفال ولا يبتلعهم." تغيّرت عادات البحر، أصبح قاسيًا هو الآخر، أو ربما زاد خوفه. ثمانٍ عجاف، والحرب تأكل الابتسامات، تَنهش قلب الأحلام الصغيرة. لا نبضَ للموج، منذ احترق رأس النخلة الطيبة، واحترقت آثار أصابع مريم. كان البحر شاهدًا على تلك اللحظة، يفتخر أن مريم غسلت يديها وفستانها بموجه، وغسلت عدة تمرات تتقوّى بهن ساعة المخاض. صَفَّقَت الملائكة بترنيمة الميلاد، وبكت ليلةَ العذابات.

تعالي يا ملائكة الله، غني، ارقصي، اغسلي أجنحتكِ أو بَلِّلِيها، أصدقائي يحتاجون إلى قطرةٍ مقدسة وثمان تمرات من يد مريم.

أنتعل رأسي وأركض

تبدو تجاعيدٌ صفراء على وجه الشمس، حروقٌ برتقاليةٌ على الرقبة. أهي أثرُ قبلاتٍ عنيفةٍ أم أن الربَّ جلدها بعنف؟ كالزومبي، أمشي خطواتٍ قصيرةً إلى الأمام ثم للخلف. أنتِ جميلةٌ... هذا يكفي.

وسطَ المدينة، يهمسُ لي الثورُ الحجريُّ المجمد، يحركُ رأسه النحاسيَّ. الريحُ ترقصُ بين فروعِ الشجرةِ العارية. أنا وحدي، أبحثُ عن يدكِ. نقشُ الحناءِ يمتطي طائرةً ورقيةً. أحاولُ التنفسَ. لماذا يُخفي رأسه المطرُ؟

هذه السحبُ تعاني من التخمةِ، بخيلةٌ هذه السماء، كمظلةٍ رديئةٍ . أنا فقط مراهقٌ. مدخلُ المحطةِ مظلمٌ. يصفرُ الكومسريُّ. يحاولُ القطارُ أن ينفضَّ الغبارَ والطينَ اليابسَ، يحاولُ تحريكَ أطر افه.
يترددُ صدى قهقهةٍ سكيرٍ. أسلكُ الرصيفَ المؤديَ إلى الحانةِ.

بجانبَ عمودِ الضوءِ، تقفُ عاهرةٌ، تتأملُ أوراقَ الخريفِ، تبدو لها بلونٍ ذهبيٍّ. تهربُ من لسعاتِ النظراتِ إلى أحلامِ اليقظةِ. تتخيلُ الجذعَ العائمَ على سطحِ البحيرةِ، أنه سفينةُ نوحٍ بعد العاصفةِ.

أما ذلك الطفلُ الموهوبُ في الرسمِ، كان ينظرُ إلى تضاريسِ صدرها، تلقى صفعةً من أمه. في الصباحِ الباكرِ، رسمَ وردةً تبكي. رسمَ فاسًا وشمعةً لا تبعثُ الضوءَ.

في الحانةِ، لم أكن بحالةٍ طبيعيةٍ. تهبطُ الملائكةُ لتقدمَ رقصةَ الفلامنكو، ثم يكونُ التدافعُ للحصولِ على هذيانٍ مجنونٍ.
هذه حانةُ الشعراءِ، الموتى جميعًا يركضون خلفي عراةً، يغطون عوراتهم بقبعاتٍ مصنوعةٍ من القشّ.
نظرتُ إلى حذائي.
أنا أيضًا انتعلُ رأسي وأركضُ.

أعترف الآن

تركضُ ثيرانُ السرابِ في الظهيرةِ الباردة، الأزقَّةُ مفروشةٌ بشتلاتِ الندى. تهرشُ الشجرةُ فخذَها العاري، ترقصُ أعمدةُ الإنارةِ، ثم تختالُ في مشيتِها. تأتي أجنحةُ الليلِ متأخِّرةً، ترسمُ الظلمةُ مشاهدَ فرحة، أتوسَّلُ للنجومِ ألَّا تأتي بوجهٍ مكفهرّ، لكنَّها تُعاند. حذائي المُرهَقُ بغبارِ أضواءِ الحاناتِ لم يعد يحتمل خطواتي المرتبكة؛ عند الثمالةِ يُصبحُ جسدي ثقيلاً. أتسكَّعُ في محاريبِ الوهمِ بحثًا عن قصيدةٍ، وبراميلُ البردِ تحيطُ برأسي وتصفعهُ ثم تهرب.

تتشبثُ أصواتٌ من زمنِ الطفولةِ بجذعِ سحابةٍ عالقة، وأركضُ محاولًا صيدَ ظلِّها بينما تركلها الريحُ بعيدًا. أبحثُ عن حلمِنا، الحُلمُ مختبئٌ في سردابٍ مغلقٍ، مفتاحُهُ ملعقةٌ مصنوعةٌ من أظافرِ الجنِّ، تلك الملعقةُ فراشةٌ تائهة، والغاباتُ لا تُفشي السِّر.

أحتطبُ وجعَ الشوقِ من كؤوسِ نبيذٍ بوردو، ويُفرَشُ الضوءُ البنفسجيُّ تحت أقدامِ القوارير، يخافُ وجهي أن يبتلَّ، ودخانُ سجائري لا تكنسُ فزعي. أستعيدُ قراءةَ سيناريو الليالي الأخيرةِ قبل الفراق، وأعترفُ الآن بفشلي. هذه جغرافيا الروحِ عطشى لضجيجِ رغبتكِ، كوني ثائرةً وانقشي على جسدي ملامحَ من وجهِ جيفارا.

مطرٌ وأشياءُ أخرى

مساؤكِ ليالٍ ممطرة، في صدري غيمةٌ ترتجف، لستُ على ما يُرام. جئتُكِ من هناك، من بلادٍ بعيدةٍ، الشمسُ تسعلُ غيمًا أبيضَ، يتخيَّلها الصغارُ أمَّ البالونات. كلُّ ما تمنَّيتُهُ أن أتقنَ لغةَ المطرِ كي أسقي ظمأَ روحِكِ بقبلاتي. كان الليلُ قصيرًا، كنَّا نخطِّطُ أن نشتري خيمةً "بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ"، فيه فقط زهرةُ عبادةِ الشمسِ تعزفُ لنا سيمفونيةَ دعاءِ الاستسقاء.

على صفحاتِ الرمالِ، حلمنا برسمِ وجهِ العشقِ. الآن أفتحُ نافذتي المُطِلَّةَ على موجةِ الظلمة، وطني يبحثُ عن ظلِّ طفلٍ يبتسم، يبحثُ عن طفلةٍ ترسمُ بالفحمِ وجهَ القمر. تعالي لنركضَ نحو مغتسلِ الحلم. غاباتُ الوجعِ تنمو بداخلي، أتخبَّطُ في غَوْرِ الضياع، الوهمُ فرشاةٌ ترسمُ حباتِ رملِ شاطئٍ لقائنا الأول.

أتتذكرين تلك الرقصة؟
أنا الدرويشُ في مخدعِ الخرافة. الشروقُ يلبسُ فستانًا رماديًا، يركضُ جنوني، يلتقطُ كوزًا من ضوءِ ليالي مجونِنا القديم كي تنبتَ خرائطُ وبوصلةٌ للطيورِ المهاجرة. تمسكُ رموشي قبضةً من ضحكاتِكِ، وريشةً من ملحِ الريحِ تنثرُ أغانيَ.
يعودُ النملُ إلى أعشاشِهِ بعدَ رحلةٍ متخمةٍ بالرعبِ، وتثلجُ المدفأةُ. تعالي نعيدُ لكلِّ شيءٍ حياتَهُ، ونعيدُ للذةِ قهقهتِها.

خارطةُ طريقٍ ورسالةٌ إلى اللّه

يعطسُ الموتُ، يتناثرُ الوشمُ البرتقاليُّ من على خصيتيهِ، تسبحُ فرقةٌ من الملائكةِ بزيٍّ ذكوريٍّ، أسمعُ ثرثرتهم حولَ مخلوقاتٍ جديدةٍ سترثُ كوكبَ الأرض، وحولَ جنونِ الموتِ وقربِ نقلهِ إلى مصحَّةٍ انفراديةٍ. قبلَ ليلةٍ من الحصادِ، ينسكبُ الصقيعُ على أكتافِ الحقول، يتغيرلونُ الذُّرة إلى لونٍ لم يعرفه أحد، يبللُ الحريقُ الطُرقَ ما بين القرى والحقول.

لا يتبخرُ الندى المقبورُ على رُبى حاجبِ الشمسِ الأيسر؛ حاجبُها الأيمنُ أصابهُ الجفافُ منذُ فقعَ بينوكيو بألونتهِ الورديةِ. وحدَها شهرزادُ شقَّت نطاقها لتسقي زرافةً عقرتْها داعش. يتسلقُ ظلي الجبل البارد ليتابع مشهد تلك الوردةِ العاريةِ، تعرجُ في مشيتها، تعتكزُ على عصا وهبها لها مولاي عبد القادر الجيلاني.

لعينيكِ لغةٌ مختلفةٌ، لكنَّ لوركا لم يفهمها. لم أكن بكاملِ وعيي في حفلةٍ تنكريةٍ ليلةَ فالنتاين، ركضتِ الريحُ محمَّلةً بقربانِ أضاحي ليلةِ المعراج. كنا صغارًا، ولكلّ واحدٍ منا قشرةُ حلمٍ؛ الخرافاتُ عشاءُنا، ترضعُنا جداتُنا حكاياتِ الجنّ والنبيّ الخضرِ، ويُوسفَ في غيابةِ الجُبّ. سارعنا في ليلةٍ مُقمرةٍ لنمدَّ له الحبلَ، ولأنَّنا في غابةٍ صغيرةٍ لا جملَ فيها، أجبرونا على تركِه في ظلمتِه.

قلتُ للعشيقةِ: لنشتري شمعةً وقنينةَ خمرٍونهديهما لذلكَ المتشردِ؛ يدُه ترتجفُ، يوزعُ و اقياتٍ جنسيةً مجانًا على المارَّة. نافذتنا المفتوحة منذ

الشروق ترسمُ ضحكة الشمس الطفلةَ، بقايا البخورُ الليليُّ يجعلُ الصورةَ مهتزَّةً بالمشهد الداخلي. ترقصُ النخلةُ. أحدُهم يطرقُ البابَ؛ موتى قصفِ الظهيرةِ يحلمونَ برؤيةِ وجوههم في نشرةِ هذا المساءِ. قليصُ أبراهةَ لا يتسعُ لهم، أصبحَ البراقُ كهلاً، وحدها العصافيرُ من يبيعُ أجنحتها لتشتري هدية لطفل يتيم خرج مبتسمًا من تحت الأنقاض بساق مبتورة.

هناك، كائناتٌ منسيَّةٌ؛ أولئك الذين اصطفاهم الموتُ له، أولئك الذين نقشهم الألمُ على جدارٍ يريدُ أن ينقضَّ. كائناتٌ غِذاؤُها الوجع. العدمُ يرسمُ على ذيلِ السرابِ نملةً بلا أرجلٍ ولا لسانٍ، فراشةً بلا أجنحةٍ فقدت أيضًا أقدامها الفُرْشِيّة، ليلًا بلا ظلمةٍ، ونصفَ شمسٍ مكللة بالسواد. الكتابةُ في زمنِ الحربِ خطيئةٌ.

تعالي أيتها الحبيبة نخلع الموجَ الثقيل الملوث عن ظهرِ السلاحف، ونعطيها خارطةَ طريقٍ ورسالةً إلى الله؛ ونقول: يا الله بارك هذا الكون بالسلام وصافح أطفالك، لأنَّ يدكَ ليست مغلولةً، و أيديهم تهوى مصافحتكَ.

تلتحفني

يمضغُ الليلُ ريقه الأخير، تأتي الشمس تركل مؤخرته بسياطها الناعمة، الموجةُ الأولى للصبح تتنفسُ ما بقي من رائحة مداعبات ليلتنا. يتصاعدُ زفيرنا الساخن بهدوء، يلامسُ سطحَ زُجاجةِ النافذة. بالجهةِ الأخرى من الزجاج، يؤدي الندى بحماسٍ نشيد الطابور الصباحي. بعضُ قطراته، تخرج من الصفِ، يحلو لها التلصص!!

تتطلع وجهة نظرها لبعضِ أشياءنا العارية.

تضحكُ العشيقة.. بعفويةٍ، دون حساباتٍ وخوفٍ من أي رقيب، تعيد الالتصاق بي، تلتحفني.

لا تزال يدي معطَّرةً بالأساطير تتدلَّى من رقبتي قلائد خرافات جدتي التي وضعت على صدري تمائم وحكايات في ليلة باردة مزَّقتُ كتب التاريخ لكنها لم تشتعل. أمشي حافي القدمين بعدما أغلقت الجغرافيا أبوابها. يبحث سوفوكليس عن محبرته نسي أنه وضعها في قصعة فول مدمَّس ثم أخذها لاجئٌ وأحتفظ بها للشتاء القادم.

أرى أنكيدو ليلةً خلقتها الآلهة ليلةً سكرت ثم تركته في غابات الضياع.

يسمع قهقهاتٍ يبعثها أبناء آوى. اختطفت الجنُّ سيف عليّ بن الفضل وأخفته في مكانٍ قرب قبر نات تيرنر. لم يعثر أحدٌ على راية ثورة الأسود العنيسي. احترق قرآن سجاحٍ ولحنه الخاص. يشتعل البرد في ليلةٍ مقمرةٍ

تهبط النجوم متنكِّرةً في شكل ضفادعٍ. يضرب موسى بعصاه الحجر يبحث عن أكسجينٍ له رائحة زهرة اللوتس. مجرى البحر ظل يابسًا منذ تلك الضربة. يرمي أبو ذر الغفاري سنَّارة الصيد ويهتف: "لنطحنَّ القمر خبزًا للفقراء." ثم قيل له أن جيفارا ورفاقه في المحبس هناك يُمنعون من التدخين والكتابة. هذه رائحة قهوة نبي الله الخضر. هنا على قمة جبل عيبانٍ ترك غليونه ومشى عند باب المندب. ثم خلع حذاءه على الضفَّة الأخرى ولا أحد يعرف متى سيعود.

النوارس تنتظر عشاءها. يُحرق طارق بن زيادٍ مراكبه. تُنشد كاهنةٌ قصائد نثريةً بلغتها البربرية. تبقر بطن الجمل الأهوج وتشوي لسانه. ذلك الجمل الذي أغروه بسبعِ قصائد مدحٍ لتُعلَّق على الكعبة. وعدوه بسبعِ نياقٍ بكرٍ وأن يطهّروه من الجنابة كل صباحٍ بالماءِ والثَّلجِ والبَرَدِ.

فوضى

هذا الصرحُ الممردُ من بخوري اليماني لنرقص الآن كما يحلو لنا. الشمسُ ظلتْ في مغربها ثلاثةَ ليالٍ منذ ليلةِ القيامة، لم يصحُ نافخُ البوقِ من منامه. يركضُ حمارٌ عزيرٌ قربَ بركانٍ جفتْ أدخنته، تغسلُ الريحُ ظفائرها. لا شرفةَ هنا، باعتْ العصافيرُ أعشاشها ورحلتْ. النو افذُ تطلُّ على نهرٍ يحاولُ تسلقَ جناحِ نورسٍ. النورسُ دفعه الحنينُ إلى هنا. سنواتٌ عجافٌ من العشقِ، سنواتٌ سمانٌ من الهذيان.

لا تينٌ ولا زيتونٌ، أشجارُ البراري ستظلُّ عاريةً لربيعٍ آخر. فوضى في كل الأسوقِ، فوضى قربَ قصعةِ البحرِ الذي يئنُ قلبه بسبب صدى مخلفات الحروب الأوسط شرقية. يحاولُ المطرُ الحبوَ نحوي، ألوحُ له. يدايَ مقيدتانِ إلى الخلف، تشتاقُ أصابعي للقلم، تتزحلقُ قرةٌ من ندى كأسي المثلج، تشقُّ طريقها لكنَّ بوابةَ الحلمِ لاتزالُ مغلقةً إلى إشعارٍ لاحق.

حدائق الحرب

تُزهرُ حدائقُ الحربِ، تجعلُ للنحلِ كلاليبَ، تزرعُ أشجارَ الزقومِ كوابيسَ الغدِ. تتلاشى شهقاتُ الحلمِ المغادرِ، تُصتادُ أحلامُ اليقظةِ، تُقرطسُها في قصاعٍ صدئة.

ينسحبُ عقربُ الثواني من الساعةِ الجدارية. عندَ بوابةِ البحرِ ثمةَ أحداثٌ مهمةٌ، لا معتصمٌ هناكَ، رغمَ صرخاتِ موجاتِ البحرِ العارية. يلهو طفلي المجنونُ بسنارةِ صيدٍ، يُصتادُ سبعُ نجماتٍ عجافٍ. يُصابُ الليلُ بالحصبةِ، لا بحيرةً ولا بجعٌ هنا، لا أقزامٌ ولا سندريلا.

ساحراتُ ماكبثٍ يبحثنَ عن نقيقِ ضفدعةٍ بِكْرٍ، يعوي الأميرُ الوحشُ. كلُّ الأشياءِ تفحمتْ، تحاولُ الجميلةُ رسمَ وجهِ القمرِ. ركضَ الوحشُ لشنقِها قبلَ أن تعثرَ على فحمةٍ فضيةٍ.

أرفعُ رأسي إلى السماءِ، سحابةٌ كبيرةٌ تأكلُ أختها الصغيرةَ. غرابيبُ سودٌ، فراشاتٌ تهوى الرقصَ تُساقُ إلى المقصلةِ.

قبل صرخةِ يوم القيامة

تعهدت الريحُ أن تكنسَ قبري بعدَ الخريفِ. تبرع المطرُبسلةٍ من ماءٍ معقمٍ. شقتِ النخلةُ مكنسةً من شعرها، كان ذلك وهي تغتسلُ من الجنابةِ الصيفيةِ.

أحدهم.. أجل، أحدهم، وضع بذرةَ عنبٍ على حافةِ هذا القبرِ. يبست البذرةُ عندما أخلفَ المطرُوعده.

احترقت البذرةُ ولم يأبه بها النملُ. يحفرُ النملُ أنفاقًا عميقةً. قبري خارطةٌ لمعاركَ عبثيةٍ، هي طبولُ الحربِ. كنتُ أظنُّ أني سوف أستمتعُ بالقليلِ من السلامِ قبلَ صرخةِ يوم القيامةِ.

أهرشُ جسدي، تزدادُ لسعاتُ الرطوبةِ. لا حذاءً هنا... أه نسيتُ أني بلا أطرافٍ.

يتحدثُ اللّهُ معي كأيامِ الطفولةِ

يتحدثُ اللهُ معي كأيامِ الطفولةِ. يُوحى إلَيَّ أن أشربَ قربةَ النبيذِ كاملةً، أن أشربَها في فناجينَ فخاريةٍ، تلك التي صنعها المسيحُ ليلةَ صلبه. لم يمسسها أحدٌ. يُوحى إلَيَّ أن أركضَ في قِيعَانِ الندى، منه مُغتسلٌ وشرابٌ. لم يتنزل الوحيُ بقصيدةٍ بائيةٍ أو يائيةٍ تصلحُ للفوزِ بجائزةٍ دولاريةٍ، مهرجاناتُ الإبلِ والهجنِ، أسواقُ النخاسةِ، باعةُ الأوطانِ، فئرانٌ سمانٌ ترقصُ في حضرةِ الأميرِ.

تنبشُ قبرَ الفيلِ العظيمِ، سُرقتْ عصا عمرِ الجاوي، تُسرقُ ألوانَ الزبيبِ وبريق العقيقِ اليماني، سرقوا رائحةَ البرقوقِ وفحولةَ النخلِ. سرقوا كراساتِ رسمِ الأطفالِ.

الأطفالُ يرسمونَ وجهَ اللهِ ضاحكًا. الجداتُ يُضاحكنه بعدَ صلاةِ العشاءِ. وعندَ الفجرِ تحملُ الأمهاتُ نصيبهُ من خبزهن. يصافحهُ جدي بعدَ صلاةِ الضحى. يلعبُ معهُ مجانينُ المدينة.

يتحدثُ اللهُ معي كأيامِ الطفولةِ. لا شيءَ يُوحى إلَيَّ. تُخفي العشيقةُ أصابعَها في جيبها. للريحِ مفارشُ ممردةٌ من الصقيعِ. فيها أحفرُ بأصابعي العشرةِ لعلي أجدُ قبسًا من الظلِ. تتراكضُ قوافلُ النجومِ. ينسحبُ قوسُ قزحٍ من مهامه التطوعية.

يتحدثُ اللهُ معي كأيامِ الطفولةِ. ترقصُ أجنحة الندى، تغترفُ منها شمعتي تيممها. هذه أنفاسها الناعسةُ تمتزجُ مع خوارِ الريحِ.
الشتاءُ لم يقلمْ أظافرهُ ولم يستخدمْ مطهرًا قبلَ مجيئه. يتشحُ الليلُ بسبعِ طبقاتٍ من الظلمةِ. أتأملُ طقوسَ الأمهاتِ الصباحيةِ. يقذفنَ السماءَ بثلاثِ جمراتٍ من القشِ. يطفنَ ثلاثةَ أشواطٍ حولَ المقبرةِ. يرسمنَ بروثِ ثورِ القريةِ لوحةً سِرياليَّةً على فخذِ الظلِ. تصرخُ الجنيةُ الساكنةُ في البئرِ القديمِ منذَ زواجِ هابيلٍ. يأكلها الرصاصُ الحارق، نعيشُ صمتًا أبديًا.

يتحدثُ اللهُ معي كأيامِ الطفولةِ. تقولُ الجدةُ: "اللهُ يمسكُ سقيفةَ بقرتها."
سألَ الطفلُ اليتيمُ معلمهُ: "لماذا لا يُوقفُ اللهُ تساقطَ سماواتِنا؟"
أخرستْ زعقةُ الجوعِ قلبَ المعلمِ.
تنسجُ الحرائقُ خيوطَ الغروبِ قبل الظهيرةِ. الليلُ تفترسهُ أعاصيرٌ رماديةٌ. دخانٌ يفقعُ عينَ القمرِ. يغادرُ قطارُ المساءِ المزدحمِ. لا يتسعُ لكلِّ أرواحِ موتى النهارِ. تقودهُ ملائكةُ مكافحةِ الشعبِ. يُقالُ أن ملائكةَ الرحمةِ مددتْ عطلتها الصيفيةِ. يُقالُ أن طائراتِ F16 وكلتْ الموتَ بمهامٍ حميدةٍ. يُقالُ أن ميا خليفة ستتلو بيانًا مهمًا.
ينتظرُ تجارَ الحربِ القتلةِ أن تمنحهمُ ليلةً من ليالها المحترفة.

يتحدثُ اللهُ معي كأيامِ الطفولةِ. ذلك قبري تنبتُ عليه طحالبُ رمادية وزرقاء غامقة، ونبتة بصلةُ "غضةِ الأفنانِ باسقةٍ". يُقصفُ قبري الآن. لا عشيقةً ترثيني ببعضِ التنهيداتِ. وحدها الشمعةُ همّتْ بالصلاةِ، لكنها نسيتْ سورةَ الميتِ. تلك السورة أُوحيتُ إلى مسيلمةَ قبلَ أعوامٍ من الحربِ لكنه نسي كلماتها. عشرُ دقائقَ من الحدادِ، إحدى عشرةَ دقيقةً برزخيةً قبلَ قيامِ القيامةِ. يصعبُ أن تكتملَ القصيدةُ في طقسٍ باردٍ.

يتحدثُ اللهُ معي كأيامِ الطفولةِ. يهتزُ كأسي. يهشُ النهرُ بنقيقِ ضفادعهِ ليكسرَ الملل. الربيعُ، موسمُ التناكحِ. أشتهي سيجارةً وعودَ ثقابٍ. فراشاتٌ ملونةٌ تلهو على قبري.

البحرُ حفنةُ الملحِ في كفِّ أمي

البحرُ حفنةُ الملحِ في كفِّ أُمّي حينَ تَعجِنُ خُبزَ الغداءِ، النهرُ غُرفةُ الماءِ في فَمِ عصفورِ الكناري، أُغنيةُ طابورِ الصباحِ. الجبلُ كَتِفُ أبي أَتَسَلَّقُهُ وهو يركعُ صلاةَ الصُّبحِ، الغابةُ أُختي تُمشِّطُ شَعرَها قبلَ ذَهابِها إلى المدرسةِ، والقمرُ ضَحكَةُ طِفلي يُمسِكُ بيدهِ قِطعةَ حَلوى، والنُّجومُ حَبَّاتُ القمحِ قَفَزَتْ من رَحى أُمّي.

الموتُ ليسَ لديه قاموسٌ بهذه الكلماتِ، لا يُؤبِهُ بحفظِ قصيدةٍ للبَرَدوني، فَقطْ لَيتَهُ أَمهَلَني لأُوقِدَ شَمعةً واحدةً. كُنتُ أَودُّ أَن أَعبُرَ جسرَ الأعظميَّةِ، أنا وأَطرافي الأربعة. كنتُ بالقربِ من بابِ النَّاقةِ، كانت صنعاءُ واحةً من النُّجومِ الر اقصةِ، صَيحةُ الدِّيكِ تَمَرَّنتُ عليها مَرّاتٍ عديدةً، أُتقِنُها الآن، بمقدوري تَرتيلُها.

كيفَ تزعُمُ أَنَّكَ من هذه الأرضِ؟
كيفَ لا تَعرِفُ مقاسَ أَحذيةِ نخيلِها؟
لا تَخافوا من نهيقِ حِمارِ الحقلِ، دعوهُ يَتكئُ على وسادةٍ من سُكونِ الليلِ.
لا تَخافوا من ضجيجِ الكلابِ ولا الذِّئبِ، أخرجَها الجوعُ، لم تَعُدْ تَحلمُ ببهجةِ التَّزاوجِ، لم تَعُدْ تَحلمُ بأبناءٍ وبَناتٍ يَرِثونَها أَلحانَ العواءِ.
لم يأكُل النملُ جثةَ حصانِ السِّباق، لا يَزالُ للحصانِ الأَشهبِ عشيقاتٌ يَمسكنَ باقاتِ الوُرودِ، يَنتظرنَهُ عندَ بَوَّابةِ حُصونِ طُروادةَ، أَخيلٌ مُخَضَّبٌ بالحِناءِ والدمِ يَهشُّ برُمحِه قافلةً من ظُلمةِ تِلكَ الليلة.

رأسي لا تسكره هذه الكأس

تلكَ الشوارعُ تمدُّ أياديَها لِغيمةِ الظَّهيرةِ، تَمتلِئُ أطنانًا من السَّرابِ. "عَلَيْهَا غَبَرَةٌ." الرؤيةُ المُهَتَّزَةُ تَجعَلُ البوصلةَ تَهتزُّ أيضًا. ما بينَ الشَّمالِ والجَنوبِ ثَمَّةَ بَحارٌ تَلبَسُ الموجةُ قُبَّعةً من نسيجِ العُشبِ اليابِسِ، تَتوقفُ الأشرعةُ عنِ الحركةِ لبعضِ الوقتِ. الطريقُ مُلغَّمٌ، الحُفَرُ السَّماويةُ تَنقُصُها علاماتٌ إرشاديةٌ، القيعانُ الآسِنةُ في رأسي لا مكانَ لها على الخَرائطِ. بيدي قَبضةٌ من ظُلمةِ الصباحاتِ المُبَكِّرةِ، رائحةُ الشَّعيرِ، وبعضُ أَحلامِ بائعاتِ الخبزِ، يقِفْنَ مُبتسماتٍ قربَ بابِ السَّبَحِ، عندَ مدخلِ بابِ اليَمَنِ، قربَ صهاريجِ عَدنٍ، عندَ المئذنةِ الطِّينيةِ بالمُكَلَّا، يَفوحُ عطرُ الريحانِ والمشاقِر.

يَنتظِرنَ بازوليني، يحملُ كاميرا وعُودَ ثقابٍ، تُعجِبُهُ الأضواء، الضوءُ الأصفرُ، خُضرةُ البحرِ، زُرقةُ الحقولِ، رَقصةُ اللِّيْوَةِ، الأهازيجُ التهاميةُ، رَقصةُ الزَّارِ، كُلُّ هذهِ المشاهدِ بدونِ مونتاجٍ.

تِلكَ النَّخلةُ التهامية الحافيةُ تَركضُ نحوَ هَضبةٍ مُنخَفِضَةٍ، ناقةُ اللهِ جائعةٌ، ناقةُ اللهِ عاريةٌ. وَحدُهُ الجَبَلُ يَملِكُ فردةَ حِذاءٍ واحدةً، الفَردةُ الثانية أكَلتها سيارةٌ مُفخَّخةٌ يومَ تَبَعْثَرَتْ أَحذيةُ المُصلينَ وجثثهم. رأيتُ رَوائحَ تِلكَ الأحذيةِ أشلاءً تَفوحُ بِعَرَقِ بُسَطاءٍ وفُقَراءَ وحالمينَ، والرؤوسُ

تناثرتْ نحوَ السقفِ المُزخرفِ بآيةِ الكرسيّ التي تَحفَظُ الناسَ من أشرارِ الجِنّ والمَرَدة.

تَنجو بعضُ أحلامِنا الغَرقى لكنها قد تَفقِدُ النُطقَ. كُنتُ في حَرَمِ الحانةِ، يُغريني لونُ النبيذِ الأبيضِ، تمايلُ فتاةٍ ثَمِلةٍ، صَدرُ النادلةِ.
كانَ الناسُ هنا يَتحدَّثونَ عن إضرابٍ من أجلِ حقوقِ الكلابِ، لا قِطارَ يُوصِلُني إلى هناك.
لا أملِكُ ورقةً أو قلمًا لتوثيقِ ما يحدث، رأسي لم تُسكِرْهُ هذهِ الكأسُ.
السُّكارى مِن حولي يتحدَّثونَ عن جَناحِ غيمةٍ مُلوَّنةٍ سَقطت في كأسي.

يضحكُ اللّهُ

هذهِ الأرضُ تَلبَسُ بعضَ الدَّهشةِ، النَّخيلُ وأشجارُ اللَّوزِ تبدو مُغربةً عندَ الشُّروقِ، يتبخترُ الموجُ بعِطرِه، أهازيجُ البحَّارةِ تَصلُ إلى السَّماءِ. المُشَرَّدونَ، بائعاتُ المناديلِ الورقيةِ عندَ الإشاراتِ الضوئيةِ، وأطفالُ الشوارعِ يضحكونَ، يحكونَ نكاتٍ جريئةً، الجدَّاتُ يُدندنَّ بأغانٍ منسيةٍ ليضحكَ اللهُ.

مضت ليالي الشَّهواتِ دونَ أن تَتركَ بريدَها الإلكترونيَّ، رحلتْ وشوشاتُ اللَّذةِ، انطفأتِ المَبخَرةُ. أَهُوَ هذا المطرُ لا يَدري ماذا يَفعلُ هنا؟ أَهيَ هذهِ الرِّيحُ تعبَثُ بكلماتي، تُحيلُها إلى فقيهِ النَّحوِ؟

مِحاةٌ بيدِ الشَّمسِ لا تَعرِفُ وظائفَها، يَرتَجفُ ظلِّي، تَركضُ الأحلامُ باكيةً، صوتُ رصاصٍ، بنادقُ الصَّيدِ مُذهَّبةٌ ومُعقَّمةٌ، يَغسلُ نهرُ دجلةَ وجهَه، تُمشِّطُ الغابةُ شعرَها، هذهِ ضفائرُها مَنحوتةٌ في مَخطوطةٍ سَبئيةٍ.

عندَ بوابةِ ثلَّاجةِ الموتى، لَفحةٌ دافئةٌ تَتأمَّلُ أطرافي، الأزرارُ العلويةُ نَسيتُها مفتوحةً، صدرُها يَحكي رغبةَ كِيلوباترا، شَهِيَّةٌ أَفخاذُها، الموتى لا يكتبونَ

الشِّعرَ بعدَ موتِهم، لا يرسُمونَ، لا يقرَؤونَ خرائطَ جغرافيا اليمنِ المنسيّ وتاريخهِ الرسميّ المُزوَّر.

كيفَ وَصلتُ إلى هنا؟ يضحكُ اللهُ.

أَيَحقُّ لي أن أطرَحَ عليكَ بعضَ الأسئلةِ؟ تُشعِلُ المُمرِّضةُ لَفَّةَ تَبغٍ، تضحكُ بِغَنجٍ، تَدقُّ ثلاثةَ مَساميرَ في جَبهتي، تُعلِّقُ عليها لوحةً نحاسيةً وفوق رأسي الصليب، أَعجِزُ عن معرفةِ تِلكَ النُّقوشِ، يضحكُ اللهُ مرةً ثالثةً، لكن خبرُ ضَحَكاتِه لم يُنشَرْ في الجريدةِ الرسميةِ المسائيةِ أو الصباحيةِ.

العشق أم الموت؟

قال الموتُ: إنَّ الحياةَ فنُّ زراعةِ الجمالِ.
قلْ للشاعرِ العاشقِ أن يُكملَ قصيدتَه.
نو افذُ الموتِ المفتوحةِ
يرسمُها صفيرُ الريحِ.
أبكي كالمرةِ الأولى، كما بكى هوميروس حينما فقد عصاه.
أتأسفُ لليومِ الأولِ.
ليتَ النظرةَ الأولى لم تكنْ.
لا، لا أقدرُ منعَ النسيمِ الذي يحملُ ذكرى منك ألا يدخل النافذة.
بدونِ عشقٍ لا تكون حياةٌ، أو كما فهمتُ من كلمات نيتشه أن الحبَّ هو الحالة التي يرى ويقتنع فيها الإنسانُ أن الأشياءَ ليست كما تبدو.
تسربَ خبرٌ أن القدرَ يحملُ على كتفيهِ موتي.
رأت الملائكةُ موتي يرقصُ.
العشق.. اثنانِ على أرجوحةٍ
يتركُ أحدهم، فيسقطُ الثاني.
كنتُ أنا من وقعَ على رأسهِ، لكني لم أفقدْ ذرةً من ذكرياتنا.
الآن، همسةُ الموتِ تمسكني قربَ الرقبةِ ثم تقبضُ عليها.
في هذه اللحظةِ عاصفةٌ هوجاءُ بداخلي.
نحو أبوابِ الحياةِ وثُقُوبها،
أبحثُ عن ملاكي المنقذ.
رو ائحُ الماضي وشر ائطُ ليالي اللذةِ.
ظلُّها حينما ترقصُ.

فستانُها الملقى على الأرضِ،
وبقايا صدى لحن أغنية "يا هزلي يا هزلي" كما غنتها الفنانة شمعة.
يحزنني أن أموتَ دون أن أعرفَ لماذا كنتُ هنا؟
في الثانية الأخيرة من الحياةِ نرى فيلمَ حياتنا كاملاً وتظل بعض أسئلتنا بلا ردٍ أو إجابة.
ملكُ الموتِ موظفٌ وليس فيلسوفًا.
من الذي يملكُ قوةَ التدميرِ أكثر؟
العشقُ أم الموتُ؟
أيتها السماء، سأغمضُ بصري للحظاتٍ
أنتظرُ المطرَ يصلُ قريتي وقلبي.
قرأتُ أن الملائكةَ تحبُّ الغناءَ والرقصَ.
تصفقُ للعشاقِ.
تصرخُ في وجهِ الذين تفوحُ أحذيتُهم بالبارودِ.
أيتها الشمس، لماذا لا تذهبين إلى تلكَ القرى البعيدةَ وأنتِ بفستان السهرة؟
حلمتُ أني أحتضنكِ.
أودُّ أن أضغطَ على صدركِ.
هكذا لن أعيشُ في ظلامٍ دامسٍ.
لن يكون هنالكَ رعبٌ.
لا أحتملُ رؤيةَ ما تفعله الحربُ.
الحربُ تأكلنا.
تحول بعضنا إلى شياطين.

تانكا من النبيذ

العواصفُ تُعلِنُ نهايةَ الشتاءِ،
خطواتُ مواسمِ العنبِ ما زالتْ بطيئةً،
حينَ تتدفقُ أنهارُ النبيذِ،
سأكونُ أنا،
المحيط.
رسمتُ لمدينتِنا نهراً،
أنحتُ قاربَنا من قنينةِ النبيذِ،
تنازلَ عصفورُنا في القفصِ عن ريشه،
تتراكضُ جحافلُ الضبابِ في غيرِ موسمِها،
تحاصرنا هنا،
أنا والحبيبةُ والعصفورُ،
ننتظرُ
رحيله.

أحتاجُ لكأسٍ من النبيذِ،
وطاسةٍ
من الخيالِ،
كي أكتبَ
اسمي.

يبدو أني ثملاً

بقطعٍ ومكعباتٍ من ماءٍ عذبٍ وكأسٍ من الهذيان،
تتعالى همساتُ الطفلِ المجنونِ بداخلي.
يأتي الليلُ حافياً.
لم تكن بلقيسُ تملكُ فتيلةَ المصباح.
كان أنكيدو في حضنِ الر اقصة.
هرولَ النهرُ،
يمسكُ مسطرةً.
قلتُ للشمسِ:
لماذا كل هذا الكحل؟
أشعلَ صديقي جان كوكتو غليونه،
ركضتْ سجاجٌ
نحو البحر،
لكن البحرَ لا يعرفُ إن كانت عاصفةٌ شمسيةٌ ستهبُّ.
يبدو المحيطُ مرسوماً بالأخضر،
تتشحُ النخلةُ بسمرةٍ جسدي ممزوجةٍ بحمرة دمي وبقايا قنينة النبيذ ليلة موتي.
تحاولُ السماءُ أن تتشبثَ بزرقتها،
الأصفرُ لونٌ لا أحبه منفردًا وأضيف إليه لونًا آخر، أي لون.
هذا الكأسُ سيظلُّ ممتلئًا.
تعشقين الأخضرَ ولونَ الحناء.
جسدُكِ لا يزالُ مبللاً بالبخورِ وبجسدي اليماني.

لا لونَ للقبلاتِ، لكن أظنُّ أنها لا تموتُ.
العالمُ أصبح يوصفُ بالجنون بعد خطابات ترامب،
لكنكِ حلمي الذي أخشى خسارته.
يركضُ الرعبُ في الحياةِ
تحت هطيلِ الشمعة،
يظلُّ قلبي يعتقدُ أنه وحيدٌ
مع همساتِ الضوء،
بواكيرِ الفجر.
أحسُّه يهرولُ للهروبِ إليكِ، قلت له إني ميتٌ و أنت ميتٌ أيضًا.
أفعلُ ما بوسعي ليفهم اللغةَ الجديدة في هذا العالم السفلي،
أو أُطوّعها كحباتٍ من عقدٍ بنفسجي.
لكن الريحَ قد تقررُ ألا تدقَّ اللحنَ الذي يجعل العشيقةَ ترقصُ،
أشرعتنا تحدقُ في وجهِ الشمسِ البرتقالية.
قاربُنا الورقي لا يزالُ يبحرُ بأعماقِ المحيط الذي أرهقه السعالُ وتعبته الحصبى.
تتذكرين القصيدةَ الأولى،
القبلةَ الأولى،
الضمةَ الأولى،
خمرتنا الأولى.
يضيعُ مزيدٌ من الزمن،
أحلمُ يقظاً،
أحاولُ أن أجدَ غيابي.
سكرتي.

لستُ في أي مكانٍ.
أتعلقُ بتلابيبِ السماء،
حيث الرعدُ
بأعالي لا مكان،
حيث الفراغُ والصمتُ والظلمةُ.
يجب أن نظلَّ عشاقًا،
يجب أن أكتبَ لكِ قصيدةً جديدة بعد الموت الأول.
يبدو أني ثملاً و آثارُ الثمالةِ تلاحقني،
لكن القصيدةَ يجبُ أن تنتهي.
ليكن بيننا لقاءٌ أخيرٌ،
قبلاتٌ أخيرةٌ.
أعلمُ أني مشتتٌ،
خجولٌ.
بلمسةٍ وهمسةٍ من شفتيكِ،
ستعودُ للقلبِ مسراته.
القسوةُ ليست في العزلة، إنه الغيابُ، الألمُ،
يشتعلُ مع الفراق.

الفهرس

نهار.....4
نهار أخر.....7
كأسٌ وقضمةٌ من رأسِ أفيونٍ.....9
شوق.....11
يكفيك شعراً يا سعدي يوسف.....12
على الطَّاولة.....15
ماذا سيحدث أكثر من ذلك؟.....16
أريد أن أفقد ذاكرتي.....18
بقايا الليل.....20
تفاصيل.....21
في انتظار الشتاء.....24
هذيان.....26
ليلة باردة.....28
يا الله، نشتاقُ لضحكاتِكَ.....31
أعشقُها.....33
لا أستطيع.....36

عباءة الليل.....38

دمي يسري في خدِّ كلِّ وردة. 40

ليلى وقيس.....41

ملح وحجر.....42

أن أكون مطرًا.....45

يُوحَى إليّ.....46

أحِسُّها تُوشوشُ من بعيد 48

المصير.....50

هذا المساء.....51

لحظة 52

جرس.. جرس.....53

خربشات 55

وجع.....56

الكلب أيبو 57

مو اقيدُ المطرِ.....58

شجرة.....60

يدي مُضَرَّجةٌ بالقصيدة.....61

صورة.....62

أنتعل رأسي وأركض.....63

أعترف الآن 65

مطرٌوأشياءُ أخرى 66

خارطةُ طريقٍ ورسالةٌ إلى الله 67

تلتحفني 69

فوضى 71

حدائق الحرب.....72

قبل صرخةِ يوم القيامة.....73

يتحدثُ اللهُ معي كأيامِ الطفولةِ.....74

البحرُ حفنةُ الملحِ في كفِّ أمي 77

رأسي لا تسكره هذه الكأس 78

يضحكُ اللهُ.....80

العشق أم الموت؟ 82

تانكا من النبيذ.....84

يبدو أني ثملاً.....85

Hamid Oqabi

MY BLOOD FLOWS IN EVERY ROSE'S CHEEK

Texts

9 789920 892353

شبكة أطياف الثقافية
للدراسات والترجمة والنشر
Atyaf Cultural Network
For Studies,Translation and Publishing ACNSTP